صاحبها ورئيس تحريرها

• مدحة عكاش •

MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

دمشق ـ ص.ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

أيار

١٩٧٦

ملحق العدد ٢٤

سكت الهزار

قبلاتها

بقلم :

رئيس التحرير

لقد مات أمين نخلة .. ورحل عن دنيا الناس البغيضة ...
مات أمين نخلة وسكت الهزار وتمزقت تلك الاوتار الذهبية التي غنت أروع آيات الفن الرفيع وطافت في عوالم انسانية مرتادة شواطىء الحب ودفقات الوجدان ونبضات الاحساس الدفين بشكل جديد أنيق مترف ، وبوح أخاذ أصيل احتل مكامن الاسرار ومواطن الاعجاب لدى عشاق الفن العربي الاصيل .

لقد غفت عينا أمين نخلة اللتان سبرتا أغوار الكون وأجواءه ، وتوقفت نبضات قلب أمين نخلة الذى احترق حبا وذاب وجدا وهام حنينا وانطلاقا ، و انطلقت روحه الى الاعلى ، وضم التراب جسدا فانيا ... ولكننا كيف التفتنا نجد أمامنا أمين نخلة .. في رؤانا .. في سبحاتنا .. في أمنياتنا .. في أغاريدنا .. يهمس من دفتر غزله ، ويغني من منفاه ، ويرقص في موجاته القصيرة نغما عربيا أصيلا ، وموسما خصبا مليئا ، ولحنا متميزا خالدا .

فاجعتنا كبيرة ... وخسارتنا فادحة .. وعزاؤنا في تراثه الخالد وبأنا جميعا لله وبأنا اليه راجعون .

الثقافة

الثقافة والتكامل القومي

الدكتور عبد الحميد يونس

يدل اهتمام المجتمعات العصرية بالثقافة على الاعتراف الصريح بها ، وبمكانها من حياة الانسان المعاصر · ولقد مضى الزمن الذي كان ينظر فيه الى الثقافة على أنها ترف مقصور على أصحاب الحياة العريضة ، وعلى الذين أتيح لهم أن يتزودوا من التعليم النظامي بمؤسساته التقليدية بقدر يمكنهم من توجيه الحياة في بيئاتهم الاجتماعية · **ولقد أصبح مفهوم الثقافة اليوم يستوعب جميع المعارف والخبرات والمهارات التي يحصلها الفرد بمختلف وسائل التحصيل · كالمحاكاة والتجربة والخطأ ، والتعليق المباشر، والاحتكاك اليومي بالحياة والاحياء الى جانب مايتاح للمرء أن يحصله من المدارس والمعاهد والجامعات وغيرها من المنظمات التعليمية والتربوية ·**

وهذا المفهوم الواقعي للثقافة هو الذي ميزها ودفع الى العناية بها لما لها من التأثير القوي على الافراد والوحدات الاجتماعية في اطار الامة أو الدولة أو القومية ، بل هذا هو السبب من أن تحتل الثقافة مكانة بارزة بين المؤسسات الدولية لما لها من مقومات تجعل الناس يتقاربون من عصر أصبحت اللحظة فيه عالمية ، وجعلت وسائل المواصلات كوكبنا الارضي تتقارب فيه القارات على نحو لم يسبق له مثيل حتى في الخيال الاسطوري ·

ونحن من الوطن العربي قد اعترفنا بالثقافة ومكانتها من حياة الفرد والجماعة وجعلنا لها المرافق الخاصة بها ، ولم ينقص من قيمة هذا الاعتراف وصل الثقافة بالترشيد حينا وبالاعلام حينا اخر · ولكننا ، ونحن نواجه وظيفة الثقافة وتاثيرها من الافراد والجماعات مطالبون بأن نفرق بين أوعية الثقافة وأجهزتها من جهة وبين موادها وعناصرها من جهة أخرى ، فالساحة والمنصة والمسرح والكتاب والاذاعتين المسموعة والمرئية والسينما والخيالة ، كل أولئك أوعية وأجهزة ، أما الثقافة فهي المواد التي تحمل المعرفة والخبرة والمهارة ، وتنقلها بين الافراد والوحدات الاجتماعية عبر الزمان وعبر المكان · ولا بد لنا من التنبيه أيضا بأن قدرة هذا الوعاء أو ذلك الجهاز على البث أو الاستقبال والارسال لا يجعله مادة ثقافية ، ومهما تصورنا مكانه من الترشيد أو الاعلام فان ذلك لا يحول بينه وبين حمل المادة الثقافية ونقلها ، كما يقوم الوعاء بهذه المهمة في الحياة المادية ·

وهناك امر اخر · نرى لزاما علينا أن ننبه اليه أيضا، هو أننا أعتدنا أن نصنف النشاط الانساني على أساسين هما الانتاج والخدمات ، ووضعنا الثقافة في مجال الخدمات بيد أن هذا التصنيف انما يقوم على التيسير ، لا على المواجهة الواقعية لوجوه النشاط الانساني ، ذلك لان

الثقافة ، وان كانت في ظاهر أمرها أقرب الى الخدمات ، فانها وثيقة الارتباط بالانتاج · وهي من العوامل الديناميكية المتلاحقة بعجلة متزايدة السرعة من عصرنا الحديث ·

وهكذا أصبحت الثقافة من أهم تبعات الهيئة الاجتماعية كما انها أصبحت في الوقت نفسه من أعظم حقوق المواطنين وكان من الطبيعي أن تخلق هذه الوظيفة الحيوية للفرد والمجتمع على السواء ، مرفق الثقافة الجماهيرية ، لكي يعيش الانسان عصره وتتأكد انسانيته ، وتتحقق مواطنته وقوميته ، ونسبة الثقافة الى الجماهير لا تعني الجمع الحاشد الذي يستقبل المادة الثقافية ·· ربما كان الاصل فيها كذلك عندما لوحظ أن الاستقبال المنشود للمادة الثقافية لم يكن ليتحقق الا من اطار جمهور محتشد كالاستماع الى خطبة في دار الندوة للاشهاد على موقف أو علاقة ، أو عظة تلقى في أماكن العبادة ، ولكن التدوين ثم الطباعة فالاذاعة السمعية والبصرية قد جعلت الاحتشاد أو التجمع ليس شرطاً أو ضرورة للبث والاستقبال ، بل أن تسجيل الصوت والصورة قد جعل من اليسير الاحتفاظ بالمادة الثقافية في هذه الاوعية الجديدة وتوزيعها على الافراد والجماعات غير الزمان والمكان جميعا ·· من هنا لم تعد الثقافة الجماهيرية مرتفعة النبرة متوترة الالقاء مبالغة في الاجتذاب والتأثير ، لانها تخلصت بفضل التدوين والتسجيل والعرض من الاحتكام الى العقل الفردي في جميع الاحوال ، وأصبحت :

● **أولا :** تتجاوز المبالغة الى الاتصال الواقعي والطبيعي بواسطة الرمز المسموع والمرئي ·

● **ثانيا :** تحررت الثقافة الى حد كبير من الاقتصار على البصر بالقراءة والكتابة وأصبح من الممكن التزود بالمعرفة والخبرة والمهارة عن طريق الكلمة المجهورة الواقعية ·

● **ثالثا :** استعادت عناصر متعددة مكانها من ثقافة الجماهير مثل تلك الحلقات الشعبية التي تؤلف جانبا كبيرا من تراث الجماعة والتي كاد ينقرض بفعل التطور ·

● **رابعا :** أعانت الثقافة الجماهيرية على بعث الصالح من التراث القومي والشعبي لا ليكون مادة حضارية تدرس ولكن ليكون أساسا لاستلهام المبدعين من الادباء والفنانين ·

وبهذا كله أدركت الهيئة الاجتماعية على أساس واقعي ، جوهر الثقافة ووظيفتها ومكانتها على الصعيد الوطني والقومي ، بل والعالمي ·

ولما كنا نعيش في مرحلة ، يتحتم علينا أن نحتكم فيها الى العلم ، فقد أخذت الهيئة الاجتماعية بالتخطيط وبوضع البرامج المكافئة لمراحل الخطة العامة · وطبقت هذا المنهج على الثقافة الجماهيرية تطبيقا على مرافق الثقافة الاخرى ، واقتضاها ذلك أن تجعل الثقافة الجماهيرية تساير التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتعين على استيعاب الجديد والتخلص من الجامد وتطوير الصالح للتطور في مواد الثقافة المختلفة ، كما أن طبيعة الثقافة الجماهيرية فرضت على الخطة أن تتخذ طريقين متكاملين :

● **الاول :** يعني بالاشكال الثقافية أو بعبارة أخرى بوجوه النشاط الثقافي المختلفة كالمسرح والخيالة ـ السينما ـ والفنون الشعبية والتشكيلية والموسيقى والمكتبات والندوات ، مع العناية الخاصة بثقافة الطفل باعتبار الطفولة هي المرحلة الاولى للثقافة الجماهيرية ·

● **والثاني :** يقوم على رعاية الثقافة وبثها في قطاعات الشعب المختلفة وبيئاته ، والاهتمام بالوحدات المحلية الخاصة بالاستقبال والاشعاع ، مع العناية بأجهزة البث الثقافي ووسائل الاتصال كالقوافل الثقافية والمكتبات المتنقلة والعمل الموصول على نشر المواد الثقافية بالاماكن النائية ومواضع التكاثف الكافي الطارىء كالمصانع الجديدة ومناطق استصلاح الاراضي وآبار النفط المكتشفة حديثا ·

ومما يساعد الثقافة الجماهيرية على تحقيق أهدافها الرئيسية وهي ـ كما ألمحنا الى ذلك ـ انسانية الانسان ومواطنته وقوميته وعالميته أنها تتسم بالمرونة وتستطيع الملائمة بينها وبين التراث ، ومواجهة الحاضر واستشراق المستقبل · ولقد كانت تقوم وظائفها دون توجيه مركزي أو رسمي · ومن الظواهر التي يعترف بها الدارسون للثقافة انها تنتشر في كل اتجاه ·· من قمة الكيان الاجتماعي الى سفحه ومن السفح الى القمة ، ومن المدينة الى القرية الى البادية ، الى جانب التطور الطبيعي من البداوة الى الاستقرار فالتمدن · ونتيجة هذه الحقيقة هي أن القوامين على الثقافة الجماهيرية يفترض فيهم أن يعينوا هذا المقوم الانساني على تحقيق أهدافه بما فطر عليه من قدرة على البقاء والتطور والانتشار والثقافة الانسانية تسقط ما لا حاجة للحياة به وتطور ما يصلح للبقاء وتضيف الجديد الذي تستشعر الحياة الحاجة اليه ومن ثم عرفت الثقافة بأنها من أقوى العوامل الديناميكية من مواجهة التغير في حياة الافراد والجماعات والشعوب وليس أدعى الى توثيق التكامل القومي الذي تنزع اليه الشعوب المنتمية الى أصل واحد وتراث مشترك ولسان يحمل المعارف والخبرات ويوثق الاواصر بين الاحاد والجماعات بثقافة الجماهير ·

عوامل التكامل المحلية

ويستطيع المتتبع لتأثير الثقافة التي أخذت الهيئة الاجتماعية على عاتقها أن تزود بها جماهيرها ، ان يلاحظ:

● **أولا :** أن التكامل في اطار الاقليم أو الوطن الصغير يساير وسائل المواصلات المادية التي تنقل الناس والامتعة من مكان الى مكان • ولقد دلت الدراسات المختلفة على أن المجتمعات لا تعيش فيما يشبه العزلة التامة ، مهما كانت متباعدة ، وتبادل التأثر والتأثير من النواحي الثقافية مشاهد في كل بيئة • والهيئة الاجتماعية التي تتخذ لها أجهزة مركزية تعمل على التقريب بين البيئات الاجتماعية المختلفة • ولقد مر بنا ان الثقافة تتخذ لها مسارا من قمة الكيان الاجتماعي الى سفحه ، ومن مركز الهيئة الاجتماعية أو أو قصبة الدولة الى أطرافها ، ومع ذلك فالمواصلات المادية تساعد على أن تتخذ الثقافة مسارها الاخر من السفح الى القمة ومن المحيط الى المركز أو القصبة •

● **ثانيا :** ومن المفيد أن تفرد المسار الاول للثقافة ما يوضحه ، فقد درجت المجتمعات منذ فجر التاريخ على أن تكون لها ثقافة ذات صفة رسمية ونعني بالرسمية هنا ما يقابل « الشعبية » ، وما يصدر عن الدولة عن طريق مؤسساتها ومنظماتها الدينية والتعليمية • وهي ثقافة متحركة وموجهة ، كما أن الاحاد المنتسبين الى الهيئة الاجتماعية ينزعون بالفطرة الى تقليد المثال الذي يقدمه القائمون بالامر والسلطان • وتستوعب هذه الثقافة الرسمية العلوم وفروعها والمخترعات التي يعتبر من مناهج الحياة وعلاقات المجتمع •

● **ثالثا :** الثقافة الشعبية وهي الدعامة التي تنطلق منها الثقافة في مسارها الثاني ، ولم يعد المقصود بالشعبية البدائي أو المتخلف وانما المقصود هو جماع العناصر الثقافية التي تصدر عن شعب من الشعوب ، وتمثل حصيلة معارفه وخبراته ومهاراته مرحلة تاريخية معينة • ولقد كان الرأي السائد ، الى عهد قريب ، ان الثقافة الشعبية ليست الا من رواسب الماضي البعيد ، ولكن الدراسات الانسانية الحديثة اثبتت أن الثقافة الشعبية تنمو باطراد مع التطور التاريخي للشعب الذي تقوم به وله ، وهي تتسم بالاصالة في المحل الاول ، ولا تعتمد بصورة مباشرة او غير مباشرة على توجيه مركزي او ايحاء مركزي من سلطة اعلى ، وهذه الخصيصة تجعل الثقافة الشعبية هي الحفيظة ، لا على التراث فحسب ، ولكن على السمات الاصيلة ، القابلة للنمو والتطور محتفظة بأصالتها ايضا •• وهذا المسار من الشعبي الى الرسمي او من المحيط الى المركز يتكامل مع المسار السابق وما أكثر الظواهر التي تدل على وجود العناصر الثقافية الشعبية عند الصفوة من العامة او عند المبدعين من الادباء والفنانين في العاصمة • وهذه الثقافة الشعبية من اهم العوامل في تدعيم التكامل المحلي او الوطني ، وهي تظهر بوضوح عندما يستشعر المجتمع حاجته الى تأكيد ارتباطه بالوطن اوانتمائه الى أمجاده التاريخية • وتضم الثقافة الشعبية العناصر التقليدية التي تحافظ على المتوارث من المهارات ، الى جانب التقاليد الفنية والادبية • ومن هنا كانت اهميتها في تدعيم التكامل الوطني •

● **رابعا :** وكان من المفروض ان نورد هذا العامل مع المواصلات ، ولكننا أفردناه لانه ، وان كان يؤلف اهم وسائل الاتصال بين الناس في العصر الحديث ، فانه يتجاوز نقل الاجسام والاشياء الى نقل الافكار والمشاعر ، ويمكن الظواهر والعلاقات في الحياة الانسانية ونقصد بهذا العامل الكتاب الاذاعتين المسموعة والمرئية • واذا كان بعض الدارسين قد جعل معالم التاريخ الانساني تتحدد على أساس وسائل الاتصال هذه ، فأننا نسجل تأثيرها الذي لا حد له في ازالة الحواجز لا بين الوحدات الاجتماعية على الصعيد الوطني فقط ولكن بين الشعوب على الصعيدين القومي والعالمي ايضا • وهذه الوسائط قد بددت اسباب الاختلاف والتناقض والتخلف لانها اذا احسن توجيهها تقدم الثقافة على اختلاف موادها ووسائلها الى الافراد حيث يكونون وتصحبهم في العمل والسمر وتزودهم بما يحتاجون اليه ، مما يجعلهم على مستوى متقارب في الاحساس بالانسانية والمواطنة والقومية • ولقد صححت الاذاعتان المسموعة والمرئية مفهوما دارجا وهو أن المستوى الثقافي للافراد والوحدات الاجتماعية انما تحدده القدرة على القراءة والكتابة او العجز عنهما ، وذلك لان الامية الهجائية لم تعد فيصلا في الحكم بين المثقف والعاطل على الثقافة ، ولم تصبح هذه الامية الهجائية حائلا بين الانسان ، أيا كانت بيئته وأيا كانت سنه ، وبين التزود بالثقافة ، ومن اجل هذا برز الى الوجود مصطلح جديد هو « **الامية الثقافية** » او « **امية المتعلمين** » وأصبح من أهم تبعات الهيئة الاجتماعية ان تخلص المجتمع من هاتين الافتين • واذا اضيفت هذه الاوعية الثقافية الجديدة الى العوامل السابقة فان المجتمع يحقق المستوى المنشود في الفكر والسلوك ، ويتجاوز التكامل الوطني الى التكامل القومي والتقارب العالمي •

واهم ما يساعد المجتمع المحلي أو القطري على استحداث الانسجام بين عناصره الثقافية ، هو الاخذ

بأسباب التخطيط في المجال الثقافي، على ان يكون هذا التخطيط قائما على المواجهة الواقعية للمجتمع المحلي، ولوحداته الادارية او شبه الادارية، وعلى ان يساير في الوقت نفسه خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومن القواعد المقررة ان خطة التنمية انما تتخذ في التصور النظري شكل مثلث متساوي الاضلاع، يعد الضلع **الاول** رمزا للتنمية الاقتصادية، ويعد **الضلع الثاني** رمزا للتنمية الاجتماعية، أما **الضلع الثالث** فهو رمز التنمية الثقافية، وان كان الواقع يجعل هذه الحدود عبارة عن حد واحد لان الحياة الانسانية لا تعرف الفصل التعسفي بين الاقتصاد والاجتماع والثقافة، وحسبنا ان نذكر هذه الحقيقة حتى لا نقع في الخطأ الذي يباعد بين المتخصصين في الاقتصاد او الاجتماع او الثقافة .

ولا بد ان يستكمل الجانب الثقافي من الخطة المسارين معا وهما المسار الافقي الذي يعني بالكم وبالجماهير العريضة ثم المسار الرأسي الذي يعني بالكيف اكثر من عنايته بالكم في العمل الثقافي، والذي يقوم اساسا على البث او الارسال او التوجيه من قمة الهرم الاجتماعي الى سفحه، او من مركز الهيئة الاجتماعية الى اطرافها . وهذا المسار يعني ايضا بالاشكال او الانواع الثقافية .. يعني برفع مستوى الانسانية والمواطنة والمعاصرة في كل فرد من افراد المجتمع، وتستعين الهيئة الاجتماعية على بلوغ هذه الغاية بتزويد المجتمع ،ووحداته الصغيرة، بما تفتقر اليه، أو بما يرفع من مستواها الفكري والشعوري وما تراه من تشجيع الدولة للفنون الزمنية والتشكيلية، بل وما تقوم به الدولة نفسها من اقامة المسارح والمعارض والمتاحف وما اليها هو تحقيق لذلك الهدف الاساسي الذي اشرنا اليه، وهو ان يعيش الفرد انسانيته وعصره وان يقوي احساسه بالانتماء الى الوطن والى العالم من حوله .

وهكذا يبرز أهم عامل على الانسجام والتكامل على الصعيد المحلي او الوطني واقتضت هذه المسؤولية الجديدة من قبل الهيئة الاجتماعية ممثلة في الدولة أن تنهض للانباء بعمليتين :

● **الاول** : تشجيع الفنون الزمنية والتشكيلية الى جانب رفع المستوى الفكري للافراد والوحدات الاجتماعية واقتضى ذلك اقامة مراكز اشعاع لهذه افنون .

● **الثاني** : انشاء جهاز مركزي في اطار الثقافة الجماهيرية يعني بنشر الفنون على اختلاف وسائلها كما يعني برفع المستوى الفكري للافراد والوحدات الاجتماعية .

ومن المشاهد في التجارب التي قامت بها بعض الدول العربية، انها عندما استجابت للاحساس بالحاجة الى الاهتمام بالثقافة الجماهيرية، بادرت وخصصت ادارات متخصصة في نشر الفنون والمعارف من المركز الى سائر الربوع في الوطن او القطر . وهذه الادارات اصبحت مسؤولة عن رفع الذوق بجميع الوسائل والاشغال الفنية، واستوعبت تلك الادارات اقساما، يتخصص كل قسم منها بفن أو فرع من فروع الثقافة والموسيقى، وكالفنون التشكيلية من تصوير ونحت وزخرفة .. الخ، وتعد الادارات والاقسام المتخصصة مسؤولة عن « الكيف » في المجال الثقافي، كما انها مسؤولة عن تزويد الافراد والوحدات الاجتماعية بما تحتاج اليه من اداب وفنون وثقافات عامة .

ومن تكرار القول ان نسجل هنا، ان الافراد والوحدات الاجتماعية ترى في هذا العصر ان من حقها ان تزود بما تحتاج اليه، بل بما هي اهل له، من فنون واداب وثقافات عامة .. لقد اصبح من حق كل فرد وكل وحدة اجتماعية، مثل الدولة، ان تحصل على هذا الجانب الثقافي الذي يتجاوز حق التعليم لانه ليس مقصورا على مزية عقلية أو اجتماعية، وليس محصورا في مرحلة معينة من مراحل العمل، بل هو زاد الجميع بلا استثناء .

ويقتضينا الواجب ان ننبه الى ان التجارب الرائدة في مجال الثقافة الجماهيرية قد واجهت في هذه الناحية صعوبتين :

● **الاولى** : ان الهيئة الاجتماعية، وان اعترفت بأهمية الثقافة، الا أنها لم تكن مستعدة لتحقيق الهدف الكبير الذي وضع على كاهلها، فلم يكن قد أعد الجهاز البشري المتخصص في التدقيق . لقد ظهر المتخصصون في التعليم على مدى التاريخ كله بيد أن المتخصصين في نشر الفنون والاداب والثقافة العامة لم يظهروا بعد، ومن أجل ذلك استوعبت المرافق الثقافية الجديدة افرادا، عرفوا بالاهتمام بالتثقيف او التنوير، كما استعارت الاجهزة الثقافية احادا وجماعات تعمل في مجالات الاداب والفنون ولا تزال الحاجة ماسة الى الاعتراف بضرورة تأهيل طائفة من المتخصصين في نشر الفنون والاداب والمعارف العامة .

● **أما الصعوبة الثانية** التي واجهت التجارب الرائدة في مجال الثقافة الجماهيرية فهي تركيز المرافق الثقافية في العاصمة ، وبعض المدن الكبرى وخلو سائر المدن والقرى والربوع من تلك المرافق ، واقتضى ذلك أن تستعين الثقافة الجماهيرية بمرافق الخدمات الاخرى مثل التعليم بمؤسساته المنتشرة بين الاقاليم • حاولت بعض الدول العربية ان تنشىء قواعد للثقافة الجماهيرية تستقبل اوعية الفنون والاداب من القمة او المركز او العامة ، وتعمل بعد ذلك على نشر او اجتذاب الجماهير اليها او توزيعها على قواعد اصغر وأبعد ، وبذلك ظهرت قصور الثقافة او بيوت الثقافة كما نهضت بعض المؤسسات التعليمية بتبعات ثقافية تدعو اليها جماهير من غير التلاميذ للتزود بالمعرفة او الخبرة او المهارة او التذوق الفني •

ولن يتكامل العمل في مجال الثقافة الجماهيرية ، الا **اذا عنيت بثقافة الشعب على اختلاف طبقاته وبيئاته ، ولذلك كان من الضروري ان يعني مرفق الثقافة الجماهيرية بما عند الوحدات الاجتماعية في المدن والارياف والبوادي، من اداب وفنون ومعارف عامة • وهذا يقتضي الكشف عن تلك العناصر بالمناهج الحديثة التي تأخذ بالمواجهة الموضوعية أو العمل الميداني ، ولا يتم ذلك الا بتضافر المتخصصين في الدراسات الانسانية المختلفة لكي تكون الظواهر صحيحة والاحكام دقيقة •**

ولقد سبق ان ذكرنا ان المجتمع بفطرته انما ينزع الى الانتخاب لكي يواجه حاضره المتجدد باستمرار •وليست مهمة الثقافة الجماهيرية مباينة لتلك النزعة الفطرية ، ولكنها تعمل على معاونة المجتمع على التمييز ، وتخلصه من الاختبارات الطويلة التي يلجأ اليها بفطرته ويحافظ على الصالح من ثقافته الشعبية ، كما تساعده على تطوير ادابه وفنونه ومعارفه وخبراته بحيث تساير متطلبات المعاصرة •

ومن ابرز الاعباء التي يفترض في مرفق الثقافة الجماهيرية ان يقوم بها ، **الكشف عن المواهب المحلية في مختلف الفنون والمهارات** ، ومهما قيل عن تخلف الاداب والفنون ، بل والصناعات والمهن المحلية فان ذلك لا يعفي الهيئة الاجتماعية من واجبهـا في رعاية الاداب والفنون ولا يتحقق ذلك الا باعتراف بتلك المواهب المحلية وهذه التبعة تحقق هدفين أصيلين :

● **الاول :** المحافظة على مقومات الاصالة في الفنون والاداب ، لان الابداع المحلي هو الذي يحمل التقاليد الفنية الاصيلة •

● **الثاني :** ان بين تلك المواهب المحلية عناصر قادرة على النفاذ من المحلية الى القطرية والقومية والعالمية، لو انها وجدت من يأخذ بيدها ومن يهيىء المناخ الصالح للنضج المغني ، وقد استجابت الدول العربية لهذه المسؤولية فأقامت قواعد لممارسة الفنون والمهن المحلية وانشأت المعارض لثمرات تلك المواهب • وسمحت بعض الدول العربية للموهوبين ان يأخذوا بأسباب التعليم والتخصص ومن البديهي ان تبادل المنتجات الفنية بين الاقاليم من أهم العوامل على استحداث الانسجام في التذوق الفني على الصعيد الوطني •

وعندما يقوى الاحساس بحاجة الجماهير الى الثقافة فان ذلك يحفزها على ان تبذل من ناحيتها الجهد في سبيل المعاونة على التثقيف والتنوير • ومن اقوى الادلة على ذلك ان جماهير بعض القرى قد بادرت الى اقامة المراكز الثقافية التي تقوم بالاستقبال والبث في وقت واحد وكان صيفها يعتمد على الجهود الذاتية اكثر من اعتماده على المعاونة الخارجية **وأثبتت التجارب الرائدة في هذا المجال أيضا ان الجماهير تستطيع ان تهيء لنفسها الاوعية الثقافية التي كان يظن أن من المستحيل تأصيلها من الارياف** •• لقد بادرت بعض القرى الى تشييد مسرح ثابت مكشوف يستطيع ان يقدم لجماهير القرية مسرحيات المدينة كما يعرض تجارب الموهوبين المحليين من التأليف الدرامي •

وبفضل هذه الاستجابة برزت تلك الاشكال التمثيلية التي كانت مجهولة او مغمورة والتي صححت اخطاء كثيرة تتصل بفطرة المواطن العربي ، وافادت الهيئة الاجتماعية باضافة تلك الحلقات المجهولة او المزدراة الى التراث الوطني بل القومي المعتبر •

واقتضى انتقال الوعاء الثقافي ، كالمسرح او الشريط – الفيلم – أو الكتاب الى المدن والقرى ، والى الساحات في الريف وأماكن التجمع السكاني الجديد حول الصناعات

المستحدثة تعديلا لا يمس الجوهر او الكيف ولا يؤثر في مستوى العنصر الثقافي ، ذلك لان المرونة في الانتقال استحدثت مرونة مكافئة في الاداء ، فتخلص العنصر الثقافي من بعض الزخارف غير الجوهرية ومن بعض التعقيدات التي لا تغير من جوهر العمل الفني . وكان من الطبيعي ان تساير الفنون المسرحية الاتجاهات الحديثة في الاعتماد على اساسيات العرض مع زوال الجدار الرابع واستغلت العلاقة الوثيقة بين الاثر الفني وبين الجماهير في الاستعانة بعناصر محلية .. وتكاملت تلك الجهود بالمكتبة المتنقلة وبالقافلة الثقافية المزودة بأجهزة العروض المسرحية والايقاعية والسينمائية .. واذا كانت الدول الاوروبية تستغل في العصر الحديث الساحات المكشوفة والملاعب الرياضية في عرض المشاهد الفنية ، فان الدول العربية عندها تقليد عريق ، اعانت عليه الاجواء التي عرفت بالاعتدال معظم اوقات السنة ونقصد بهذا التقليد استغلال الدار المتنقلة او « المخيم » في المناسبات العامة ، ومن اجل ذلك ظهرت الدعوة الى الاخذ بهذا التقليد في مجال الثقافة الجماهيرية، فتقام « المخيمات الثقافية » في مختلف الربوع وهي مرنة سهلة الحمل والانتقال ، وتستطيع ان تستوعب الاجهزة والادوات ، وتضم مكان العرض وساحة النظارة او جماهير المشاهدين والمتذوقين .. وهذه المخيمات قد استغلت من قديم في المواسم التي تجتذب الجماهير وكانت في الاجيال الماضية الوسيلة الاساسية في عرض مختلف الفنون والاداب الشعبية .. كانت تعرض فيها اشكال التمثيل المباشر وغير المباشر وفنون الايقاع والنشيد والغناء وعروض المهارات الخارقة .. وما دمنا نعترف بأن من اهم تبعات مرفق الثقافة الجماهيرية معاونة الشعب على الانتخاب وتطوير فنونه وادابه ، فمن الواجب ان نعترف ايضا بأن هذا الوعاء التقليدي لا يزال قادرا على الانتقال والبث طبقا لمفهوم الثقافة الذي يزاوج بين مقتضيات الاصالة والمعاصرة والذي يفيد من الخبرات السالفة والتقاليد الموصولة .. وان كل من درس الثقافة الشعبية على اختلاف عناصرها وأشكالها ووسائلها ، يسلم معنا بأن المخيم الثقافي ، بصورته القديمة كان من أبرز العوامل على استحداث الانسجام والتكامل في الثقافة على الصعيد الوطني والقومي .. ومن ذلك ان أشكال التمثيل المباشر وغير المباشر ظلت حبيسة عبر الاجيال وتنقلت بين الربوع وتجاوزت المجال القطري الى المجال القومي الرحب ، بل نفذت الى الافق العالمي وكاتب هذه السطور يسجل أن عروض الغناء والموسيقى والرياضة البدنية والالعاب الخارقة وخيال الظل كانت تتجول بين اقطار الوطن العربي الكبير وان بعض تلك الفرق قد اتخذت لها مهاجرا جديدة في اوروبا الوسطى .

ومن المفيد ان نقرر حاجة العاملين في مجال الثقافة الجماهيرية الى وضع خط فاصل بين ما اصطلح على تسميته ـ الملاهي ـ وبين وسائل الاتصال المعنوي والثقافي بين الافراد والوحدات الاجتماعية .. من الضروري ان نساير التطور في الحياة المعاصرة ، وما يفرضه من الاكبار من شأن وسائل الاتصال هذه ، وما تستوعبه من أوعية ثقافية وأشكال فنية مثل المسرح والخيالة وعروض الايقاع والغناء .. ان هذه الاوعية وتلك الاشكال مهما حققت من تسلية وترفيه فانها ارقى من ان ينظر اليها على انها ملاهي رخيصة كالتي تمارس في بعض الاندية الليلة .. وليس من المعقول أن تعترف الهيئة الاجتماعية بهذه العناصر الثقافية وتنشىء المؤسسات والقواعد ، وتقدم لها المعونات المادية والادبية وتدعمها بالمتخصصين في ادائها وتظل النظرة القديمة لها على أنها مجرد ملاهي رخيصة ترتبط بما يخرج عن نطاق الحياة الجادة . والثقافة الجماهيرية انما تهتم بهذه العناصر الثقافية .. لذاتها أولا باعتبارها من جوهر النشاط الثقافي **وثانيا** لانها من أقوى العوامل على استحداث التكامل الوطني .

أما وسائل الاتصال الحديثة فتأثيرها على نقل الثقافة على الصعيد القومي ـ ولا نقول الوطني فحسب ـ ظاهر لا يحتاج الى ايضاح . ولقد صدق المؤرخون المحدثون الذين جعلوا الاذاعتين المسموعة والمرئية أقوى تأثيرا في استحداث التقارب بين الجماعات من الطباعة والصحافة ، لانها لا تحتاج الى وحدات مادية لنقل الوعاء الثقافي ، كما هو الحال في الكتاب او الصحيفة او المجلة ، ومن الواضح الجلي ان برامج الاذاعة المسموعة والمرئية تنتقل دون حاجة الى تلك الادوات المادية وانها تتجاوز الجماهير المحتشدة في صعيد واحد ، وفي مناسبة معينة ، للاستماع الى خطبة ، أو عظة ، أو لمشاهدة عرض مسرحي أو شريط خيالة ومن اجل ذلك تعد الاذاعة المرئية والمسموعة الان من اعظم اوعية الثقافة من ناحية ، كما تعد من اقوى وسائل التوحيد الفكري والشعوري بين الافراد والوحدات الاجتماعية في اطار وطني أو قومي ، بل في اطار اوسع من ذلك ، مدى يتجاوز حتى اختلاف الاقوام في اللغة

والمرحلة الحضارية . ان الجيل الذي يعيش في اوطن العربي قد شاهد القرية المنعزلة او شبه المنعزلة منذ نصف قرن وشاهد الافراد والجماعات الذين تعذر عليهم التحول من القرية او الوحدة الادارية ، الى ما هو ارحب ، اما اليوم فان الفلاح في الريف يستمع الى الاذاعة المسموعة وهو في الحقل ومن الممكن مضاعفة الصوت بحيث ينفذ الى مجتمع بأسره بواسطة المكبرات المنتشرة في كل مكان . ومن الخطأ الذي لا بد من تصحيحه ان نظل نتصور الاذاعة المسموعة والمرئية على انها جهاز اعلام فحسب ، فالواقع انها :

● **أولا وقبل كل شيء وعاء ثقافة** ، ولذلك يصبح من الطبيعي ان يحسب لهذه الاذاعة حسابها في التخطيط الثقافي على الصعيد الوطني ـ وسيأتي بعد ذكر مكانها من التخطيط الثقافي على الصعيد القومي ـ ولقد أدت هذه الاذاعة ، بما لها من تأثير قوي ، مهمة كبرى ، في استحداث الانسجام المؤدي الى التكامل المحلي ، واعانت على التقريب بين اللهجات واستحدثت تقاربا في الذوق ، ودعمت المسارين القطريين للعناصر الثقافية من القمة الى السفح ، ومن القصبة الى الحدود ، وبالعكس ، وينضح ذلك حتى في تجسيم الانماط الانسانية المختلفة في الوطن مثل نموذج اليدوي ، ونموذج الفلاح ، لم تعد هذه النماذج مقتطعة من بيئة ثقافية محدودة .. ولم تعد تصدر عن سلوك او تتحدث بلهجة وحدة اجتماعية بذاتها ، وانما اصبحت نماذج عامة لاي بدوي واي فلاح .

كما أن الاذاعة السمعية والبصرية قد استحدثت ولا تزال **تستحدث انسجاما بين مختلف اللهجات** في الوطن العربي الكبير ، ومن اليسير اليوم استقبال اللهجات العربية في الشرق العربي ومغربه ، ولم يكن ذلك يسيرا في الاجيال الماضية التي لم تنعم بهذه الاوعية الثقافية الخطيرة . ويضاعف من هذا التأثير في استحداث التكامل ظهور اجهزة التسجيل السمعي والبصري ، وانتشارها ، فقد يسرت هذه الاجهزة ما يمكن ان نطلق عليه مصطلح ـ تعليب ـ الثقافة ، ومرونة التسجيلات ، والقدرة على نقلها من مكان الى مكان جعلها من عوامل الانسجام والتكامل في المجال الثقافي . ونحن نؤيد الباحثين المعاصرين الذين يرون في بعض هذه التسجيلات قيمة الوثائق المدونة .. والواقع ان شيوع التسجيل السمعي والبصري قد وسع دائرة الذخائر الثقافية ـ اذا صح هذا التعبير ـ لان المحافظة على العناصر الثقافية، ونقلها عبر الزمان والمكان جعل المكتبة تتسع للوثيقة السمعية والبصرية . ومن الضروري ونحن نتحدث عن الثقافة الجماهيرية ، ان تطالب بضرورة المبادرة الى الاهتمام بهذه الوثائق الجديدة التي ترتبط بنقل الواقع الحضاري الحي بصورة أدق من التدوين والكتابة . ولقد آن الاوان لان نقيم مكتبات خاصة بهذه الوثائق ، او على اقل تقدير ، نتوسع في مضمون المكتبات العامة بحيث تستوعب التسجيلات السمعية والبصرية .

ومن الانصاف للبحث ان اسجل انه فرصة ذهبية **لكي نفيد بحق من المعاصرة في استحداث الوحدة الفكرية بين جماهيرنا وهذا يتطلب منا ، ونحن نواجه الامية الالف بائية والامية الثقافية ، ان ندعو الى ظهور ـ الكتاب الناطق ـ.** وليس هذا الكتاب مجرد مجموعة من الاسطوانات او الاقراص الصوتية التي تردد الاغاني ولكنه قد اصبح من وسائل التربية والتعليم والثقافة في اقطار كثيرة ،وسيلة قوية ومباشرة لتسجيل الثقافة على اختلاف اشكالها ووسائلها وقد وجد الكتاب الناطق في بعض اقطار الوطن العربي بالفعل ولكنه اقتصر على النصوص المقدسة وبعض وسائل التعليم اللغوي ومن الممكن ان يتسع لاكثر عناصر الثقافة، فيستوعب بعض المدونات ويترجم بعض النصوص المكتوبة الى صور بصرية وسمعية ، ويجعل بعض الاشكال الفنية ، زمنية وتشكيلية ، متيسرة للافراد والجماعات ، وبذلك يضاف الكتاب الناطق الى العوامل ذات الاثر الكبير والمباشر في استحداث التكامل الوطني بل القومي ونستطيع ان نلخص الخطوط الاساسية في عوامل التكامل الوطني ، في وجوب التخطيط لثقافة الوطن او الامة ، وهو تخطيط من الضروري ان يرتكز على دراسة واقعية ، وعلى التفريق بين الخطة من ناحية ووضع البرنامج محدود الاجل من ناحية أخرى . والمبادرة الى انشاء الجهاز الذي يعين على تخريج متخصصين في التثقيف ، اسوة بالتعليم وما اليه ، والعمل في مجال الثقافة الجماهيرية بصفة خاصة على الاساس المركزي المنشود ، وعلى الاساس اللامركزي في الوقت نفسه وهو الذي يحتفل بثقافة الجماهير ، وما تتسم به من اصالة بحيث يبرز الصالح منها ، ويساعد على تطويره ، وتقدير الاوعية الثقافية على اختلافها واستغلالها في التوجيه الثقافي لكي يتم الانسجام الفكري والشعوري بين الافراد والوحدات الاجتماعية . ●

الفطنة عند العربي

بقلم

عبدالعزيز عبدالله الربيع

تصدق الفطرة النقية في الهدى الى أمور علمية تدل التجارب الدقيقة بعد قرون متطاولة على صحتها الواضحة وانك لتعجب أشد العجب حين تتمخض الابحاث في المعامل التجريبية عن آراء أتى بها الاميون في عصورهم الغابرة لا أقول أنهم اهتدوا اليها معللة محللة ، ولكن النتائج وبخاصة في دنيا الدراسات الانسانية كانت مبلورة في حكمة سائرة ، أو مثل شرود ، أو بيت شعري يدل على نبوغ فذ في عالم النفس ، **ويرتكن الى خلفة** تجريبية في عالم السلوك، حتى ليصبح بابا مكتمل العناصر في ذاته وان علم النفس المعاصر ليجد في مثل قول زهير ابن أبي سلمى ·

ومهما تكن عند امرء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

وما يصلح موضوعا لبحث علمي موضح الدلائل قائم البينات فخبرة أجدادنا المتبلورة في الامثال وما يروى عنهم من الاحداث تتفق مع الحدس **المتضمن** في مثل هذا البيت الخالد ، وكم له من أمثال وفي مثل الكلمة السائرة « الولد سر أبيه » ، « وكادت المرأة تلد أخاها » ، « خذوا البنات في صدور العمات » ، « اذا بار الولد فثلثاه للخال » وقول القائل ·

عليك الخال ان الخال يسرى
الى ابن الاخت بالشبه المبين

هذه الابيات وهذه الامثال يشير كل منها الى أن الاجداد والاحفاد **تنشأ** سماتهم وأصول تفكيرهم على مثال مشترك · ان الولد ينزع لذويه ولو لم يقدر لهم مقابلة بعضهم بعضا ·

ولا ننسى في هذه المناسبة ما تعارف عليه العرب في الجاهلية **على علم القيافة** الذي يقوم على الاستدلال بهيئة الانسان على نسبه ، فقد هدتهم فطرتهم المصحوبة بدقة الملاحظة والتجربة الصادقة الى رسوخ قواعد الوراثة ·

وقد أخذ الاسلام في ذلك · واليك ما ورد في الصحيح فيما يتعلق بهذا الامر ·

« ان مجزر الاسلمي دخل يوما الى الرسول صلى الله عليه وسلم فرأى أسامة بن زيد وزيدا وعليهما قطيفة قد غطيا رأسيهما وبدت أقدامهما فنظر اليهما مجزر الاسلمي وقال ان هذه الاقدام بعضهما من بعض ·· الخ · » فسر بذلك النبي عليه السلام وقد فسر الاصفهاني هذا النوع من المعارف عند العرب بأن الله تعالى خص بذلك العرب ليكون سببا لارتداع نسائهم عما يورث **سلب** نسبهم وخبث حسبهم وفساد بذورهم صيانة للنسب ·

كذلك كان العرب اذا نظروا الى عدة أشخاص ، ألحقوا الابن بأبيه والاخ بأخيه والقريب بقريبه وميّزوا الاجنبي من بينهم · « وأما حكمة اهتمام العرب بالنسب فنجدها في جواب أياد عندما قيل له : من أين عرفت أن الرجل يدعى لغير أبيه ؟ فقال : لأني رأيته **يتكلف** ما يعمله ونجدها أيضا في أقوال مأثورة كهذه » « يد الحر ميزان » « بالبر يستعبد الحر » الخ ··

وقد فطن العرب منذ القديم للعلاقة بين ما ظهر من الحياة وبين ما ضمر فيها من استعدادات فوضعوا علم الفراسة كسجل لخبراتهم في هذا الشأن ثم يأتي القرآن الكريم مؤيدا الحدس عندهم بهذه الآية الكريمة : « ان في ذلك لآيات للمتوسمين » ، « تعرفهم بسيماتهم ولتعرفنهم

في لحن القول » الخ ٠٠ ونقتبس المثال الآتي من كتاب مفتاح السعادة لابن القيّم : حكي عن المهدي أنه رأى رؤيا ونسيها فاصبح مغتما بها فدل على رجل كان يعرف الزجر والفال والتعبير وكان حاذقا واسمه خويلد ٠ فلما دخل عليه أخبره بالذي أراده فقال له « يا أمير المؤمنين الى الحركة » فغضب المهدي وقال : سبحان الله ، أحدكم يذكر بعلم ولا يدري ما هو ، ومسح رأسه ووجهه وضرب بها على فخذه ، فقال له : أخبرك برؤياك يا أمير المؤمنين قال هات قال : رأيت كأنك صعدت جبلا ، فقال المهدي : لله أبوك يا سحار ، صدقت ، قال ما أنا بسحّار يا أمير المؤمنين غير أنك مسحت بيدك على رأسك فزجرت لك بنزولك الى أرض ملساء فيها عينان مالحتان ثم انحدرت الى سفح الجبل فلقيت رجلا من فخذك ، قريش ، لأن أمير المؤمنين مسح بعد ذلك بيده على فخذه فعلمت أن الرجل الذي لقيته من قرابتك قال : صدقت) ٠

هذه القصة لها أشباه كثيرة في الادب الجاهلي وفي الادب العربي الاسلامي ، وبعض المنتسبين الى المناهج الحديثة يراها موضع تلفيق ، اذ يحاول أن يقلد دارسي الغرب في طمس كل أثر يدل على النبوغ العربي ، ولكن نظائرها المختلفة في مثل كتاب الاذكياء لابن الجوزي يدل على أن هذه النوادر المتزاحمة ما كانت تكثر هذه الكثرة لمجرد التلفيق ، بل لا بد أن يكون أكثرها قد حدث بالفعل، وما لم يحدث ان جاز لنا أن نرخي العنان لهؤلاء الشاكين قد يصبح على غرار ما حدث بالفعل ، وكتب الاحلام في القديم مما جمعه ابن سيرين وأمثاله تدل على ذكاء بارع في اكتشاف الرموز وتأويل الحدث بما يصور عبقرية العقل المتفرس ، وذكاء النظر البصير ومن بواهر الذكاء العربي أنه لا يقتصر على اظهار التلون في الاشياء وتفسير الغوامض من الرموز بل ينتقل الى علاج النفس فيقي الارادة من التردد والحيرة واليك هذا المثال الحاث على شد أزر الارادة وتثبيته للعزم على المكارم ، هتف به **حاتم الطائي ، وشهرته** خير دليل على صدق تعبيره عن تجربة بني قومه اذ يقول :

أشاور نفس الجود ، حتى تطيعني
وأترك نفس البخل لا أستشيرها

ويقول :

بعيني عن جارات قومي غفلة
وفي السمع عن حديثهم وقر

هذا من ناحية التردد النفسي قبل العزم ، وأما مابعد العزم فاليك ما يدل عليه من مثل قول شاعر آخر من شعراء **هذه الامة :**

لعمرك ، ما أمرى علي بغمة
نهاري ، ولا ليلي علي بسرمد

ولما كان العربي في دنياه الغابرة مثال الحرية السامية، كانت فيه المروءة سجية ولنسمع ما يعبّر عن مظاهر هذه المروءة لديه من مثل قوله :

اذا كنت ربا للقلوصي فلا تدع
رفيقك يمشي خلفها ، غير راكب
أنخها ، فأردفه ، فان حملتكما
فذاك ، وان كان العقاب فعاقب

وقوله :

لقد كنت أطوى البطن والزاد يشتهي
مخافة ، يوما أن يقال لئيم

وقوله :

اذا القوم قالوا من فتى خلت أنني
عنيت فلم أكسل ولم أتبلد
ولست بحلاّل التلاع مخافة
ولكن متى يسترفد القوم أرفد
وان يلتقي الحي الجميع تلاقني
الى ذروة البيت الرفيع المصمد
وان أدع للجلّى أكن من حماتها
وان يأتك الاعداء بالجهد أجهد

وقوله :

عليهم وقار الحكم حتى كأنما
وليدهم من أجل هيبته كهل
ان استجهلوا لم يغرب الحلم عنهم
وان أثروا أن يجهلوا عظم الجهل

وقوله :

محرمة أكفال خيلي على القنا
ودامية لبّاتها ونحورها
حرام على أرماحنا طعن مدبر
وتندق منها في الصدور صدورها

وقوله :

اذا ما صنعت الزاد ، فالتمسي له
أكيلا ، فاني لست آكله وحدي
أخا طارقا أو جار بيت فانني
أخاف مذمات الاحاديث من بعدي

فهذه أمثلة مختلفة ، تتلاقى جميعها في اجمالها لدى الفتوة العربية في التمسك بأمثل الفضائل وتختلف في اختصاص كل بيت بخلق خاص ينتحيه ويهدف اليه ، ولم يكن الشاعر العربي مدرس أخلاق حتى يفصل ويشرح ،

ولكنه يستجيب الى هتاف نفسي يصل الى الجوهر الصريح في بيت أو أبيات سواء كان حكيما اشتهر بالحكمة أو ركن اليها كزهير حين قال (عليهم وقار الحلم) أو شابا عجولا يستجيب للنادرة السريعة وللهتاف البادر كطرفة حين يقول (اذا القوم قالوا من فتى) أما أبيات الشجاعة والكرم فما أكثرها في أدب الجاهلية والاسلام لدى البداة منضاربي الاطناب وناصبي الخيام من موقدي النيران ومرسلي الكلاب بالنباح كي يسمع الضال فيهتدي حتى ليصدق أحدهم في قوله عن أحد هؤلاء الاجواد ·

ويكاد سيدهم يجود بنفسه
حب القرى حطبا على النيران

وان العرب عندما حرصوا على تثبيت مكارم الاخلاق بالوراثة ، كانوا يقصدون من ذلك أن يوفروا على الاولاد والاحفاد الجهد المبذول في اكتسابها ، ويوقّونهم من خطر التردد في الاقدام على جليل الاعمال والمفاخرة عندهم تدل على ذلك خير دليل :

• قال خالد لربيعة : ـ أعطيت من سأل ، وأطعمت من أكل ونصبت قدوري حين وضعت السماك ذيولها ، وطعنت يوم (شواحط) فارسا فحللت فخذيه بفرسه ، وقال ربيعة · يا قعقاع ما عندك ؟ فأخرج قوس حاجب فقال : ـ هذا قوس عمي رهنها عن العرب وهاتان نعلا جدي قسم فيهما أربعين مربعا ، وهذه زريبة زرارة لم ير ناره خائف الا أمن ولم يمسك بطنب فسطاطه أسير الا فك ·

فنادى ربيعة أن السماحة واللهس والمربع والشرف الاسبغ للقعقاع ، الا أني نفرت ممن كان أبوه معبدا وعمه حاجبا وجده زرارة ·

كما كان العربي يمن على أولاده بأنه اختار لهم أما من أصل عريق ، بدلا من أن ينطلق لرغباته مستمتعا بها ، فيختار جميلة غير أصيلة تكون خضراء الدمن لمنبته ومستنقعا لغرسه ·

وهو بهذا الاختيار كان يضمن لهم ميراثا حيا خالدا على الدهر يردعهم عما يعترض الطريق الى المثل الاعلى بحيث تصبح فيهم المكارم سجية كما قلنا ·

يقول الشاعر العربي في مخاطبة أولاده :

وأول احساني اليكم تخيري
بطاهرة الاحساب باد أصولها

وقوله :

تجاوزت بنت العم وهي قريبة
على فلا يضوي علي سليلي

وهي خبرة أكدها العلم الحديث حين رأى في قرب الدماء بين ابن العم وابن العمة ما يوجب تضاعف المرض فيضوي السليل وقد جمع ضعف الاب والام معا لذلك قال صلى الله عليه وسلم « اغتربوا لاتضووا » ومن ميراث هذه الطبائع المتخيرة والازواج المطهرة ما عناه الشاعر حين قال :

فقلت دعيني انما تلك عادتي
لكل كريم عادة يستعيدها
ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه
يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وحين قال :

علونا الى خير الظهور وحطنا
لوقت الى خير البطون نزول
صفونا فلم نكدر وأخلص سرنا
أناث أطابت حملنا وفحول

وحين قال :

وما يك من خير أتوه ، فانما
توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطى الا وشيجه
وتغرس الا في منابتها النخل

كما كان الرجل ينسب الى جده أو الى أحد عمومته اذا كان أشهر من أبيه · ومن هنا قول الرسول الكريم محمد ابن عبد الله · عليه الصلاة والسلام · أنا أخلص العرب لا كذب أنا ابن عبد المطلب · لان والده صلى الله عليه وسلم لم يعش طويلا حتى يبلغ مجد أبيه ، ولكن احتضر في ناضر الشباب تاركا ولده الى أكرم الجدود ·وما كان الرجل ليعد عند العرب رجلا حقيقيا الا اذا كانت مناقبه تهدى الناس نحو مستقبل أفضل وأكمل وكانت تجربته في الحياة قد رسمت بنية أحفاده فوجهتهم نحو مثل أعلى فهم كما قال القائل القديم ·

هيّنون ليّنون ذوو كرم ·سواس مكرمة أبناء أيسار
ان يسألوا الحق يعطوه وان خبروا
في الجهد أدرك منهم طيب اخباري
وان توددتهم لا نوا وان شهموا
كشفت أذمار شر غير أشراري
لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا
ولا يبارون ان حاروا باكثار
من تلق منهم لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري

تلك أمثلة ذات دلائل وأبيات ذات مغاز ، ونحن نتقدم بها الى من يجهلون الاصول العريقة ويتبجحون بعلم أقرب الى الجهل ، ودرس أقرب الى العبث ، وليتهم يرجعون الى تراثنا العربي فينهلون من أصفى الموارد ويستقون من أطهر الينابيع ·

الرياض ـ عبد العزيز عبد الله الربيعي

النواحة

قصة

تعريب : حسن بسام

قصة قصيرة بقلم الكاتب الروسي :

أيون دروته

المؤلف ايون دروته

ولد في مولدافيا بالاتحاد السوفياتي من أب فلاح . عمل في الصحافة المحلية بعد أن أنهى دراسته الثانوية في مسقط رأسه .. ثم انتقل الى موسكو حيث تلقى دراسته العالية في الاداب .

لهذا الكاتب عدة مجموعات من القصص القصيرة ، بالاضافة الى بعض الاعمال الادبية الاخرى .

نال جائزة الدولة للاداب عام ١٩٦٧ .

ومما يقوله الناقد الادبي ف. جوزف في دروتسه :

« انه كاتب يجمع بين البساطة والتعقيد ... غير ميال لان يعرض روحه لتحريات الناس ... لكنه يذيبها بارهاف ، وبلا تحفظ ، في الرياض المزهرة ، وفي دفءسماء الصيف الازرق ... وفي طبيعة موطنه مولدافيا بشكل عام ... »

« وعندما تقرأ له ، تجد نفسك مضطرا لان تحلل انطباعاتك ، لتكشف عن الجوهر والمدى في سطوره ... »

« ان هذا المؤلف يعرف عن الدنيا وعن أهلها أشياء كثيرة ، أخفق كثيرون غيره في ادراكها ... » ...

ما الحجم الذي يجب أن تكون عليه أي قرية لتعتبر كبيرة ؟ هل خمس مائة مسكن عدد كاف ليجعلها في عداد القرى الكبيرة ؟ حسن ... اذا كان الامر كذلك ، فان « كمبينا فيكه » قرية كبيرة فعلا .. لان فيها أكثر من ألف مسكن .. ولو أن أحدا لا يعرف بكم تزيد مساكنها عن الالف . ولقد شاب أربعة من أمناء سر مجلس هذه القرية ، وهم يحاولون حصر هذه الزيادة ... وهاهو ذا خامسهم ، وقد بدأ الشيب يغزوه ، رغم كونه لا يزال شابا ....

وآية هذا كله أن أهل « كمبينا » نشيطون جدا . فهم دائما اما يشيعون راحلا ، أو في طريقهم لاستقبال قادمين جدد . ومن النادر أن يمر يوم واحد دون أن يتهاوى فيه كوخ قديم في واحد من أطراف القرية ، في الوقت الذي يطلع فيه على الدنيا ، وعلى الطرف الاخر من القرية ، بيت صغير جديد ، ويرنو الى العالم من خلال نوافذه اللماعة .

زد على ذلك أن أهل « كمبينا » مشهورون بروح الفكاهة . وخذ لذلك ، على سبيل المثال ، مسألة الاحصاء: فأولئك الذين يميلون الى العبث أكثر من جيرانهم ، يتقدمون لتسجيل أنفسهم مرتين وثلاث مرات ، بينما يعمل آخرون على تجنب مندوبي الاحصاء جملة وتفصيلا ... ولا يحثهم على ذلك غير فضول غريزي .. أي أنهم لا يتوخون من ورائه الا أن يتبينوا كم ستطول الفترة التي سيقضيها امرؤ ما حتى يتذكرهم وان هذا كله لا يعني أي مشكلة في « كمبينا » ، ما دام الاسم الاخير ، أو الكنية بادورارو ، مشتركة بين نصف أهل القرية ... حتى أن هناك أربعة أشخاص باسم ايفان ايفانوفيتش بادورارو ذاته . كما أن ثلث المعلمين ، وأكثر من نصف التلاميذ في مدرستي القرية ينتمون الى الكنيسة نفسها ... أما سجلات التفقد في الصفوف ففي كل منها صفحتان أو ثلاث صفحات مخصصة للكني المبدوءة بحرف « ب » .

ويقال : انه قبل ثلاث مائة سنة ، لم يكن في هذه القرية سوى شخص واحد يحمل اسم بادورارو .. وان هؤلاء جميعا هم الباقون من سلالته . وتصديق هذا الامر ليس بالشيء الهين : فعلى الرغم من وجود الكثيرين من آل بادورارو ذوي النسب المثبت ، فان بينهم أولئك الذين لا يستطيعون اثبات حتى قرابتهم البعيدة .

ومع ذلك ، فان هناك امكانية كونهم جميعا منحدرين من صلب بادورارو الاول نفسه ، لان ثمة موهبة رائعة تجمع

بينهم جميعا ... ألا وهي أن آل بادورارو في « كمبينا » وبدون استثناء ، يتمتعون بأصوات رخيمة .. وفي أصواتهم من التناغم والجرس ما يجعلك لا تأسف — عندما يطالعك نفر منهم مجتمعين — على الوقت الذي تصرفه وأنت بانتظار أن يشرعوا بالغناء . وآنذاك ،وربما للمرة الاولى في حياتك، ستشعر بالضيق من كنيتك أنت ... من يدزي ..؟! ربما كنت أنت أيضا مولودا كأحد أفراد آل بادورارو ...

وجوقة الترتيل في القرية تتكون من أفراد من آل بادورارو دون غيرهم .. وهم الذين جعلوا قرية «كمبينا فيكه » تكتسب شهرة خاصة .. ومع ذلك ، فهم أنفسهم وراء الكثير من المتاعب : فاذا فسح المجال لاي من آل بادورارو لكي يتحدث في اجتماع ما ، فسيمضي في الكلام الى أن تمل منه حتى نفسه ، وليس لاي من بني البشر من قوة الصراخ ما يمكنه من اسكات المتحدث . وآل بادورارو عشيرة متضامنة كليا فيما يتعلق بموهبتهم المشتركة ،وهم باستمرار يدعمون بعضهم بعضا . وفي جميع الاحوال ، عندما ينشأ جدل ما بين اثنتين من نساء بادورارو ، يخبو نجم المثرثرات المحليات ، لان القرية بمجملها ، ستعرف بالضبط ، وبدون عون منهن ، كيف بدأ النقاش وكيف انتهى .

الحقيقة ، أن بيت القصيد ليس هنا ..و « كمبينا » كما ورد قبل قليل ، قرية كبيرة تماما ، وأكثر من نصف سكانها من آل بادورارو ؛ كما أن من النادر أن يمر يوم واحد لا يولد فيه فرد جديد لعشيرة بادورارو ، رغم أن أكبر المسنين بينهم ، ينتقلون الى العالم الاخر بين الفينة والفينة ...

آه .. ليتك تسمع النساء من آل بادورارو وهن يندبن ويولولن في أحد المآتم .. يا للعجب من أساليبهن في ايجاد الاسباب من أجل اطلاق العنان لانفسهن . فعندما يرين ابن أخ أو ابن أخت في طريقه الى الجندية ينحن ويولولن ؛ واذا يضيع أحد العجول في الغابة ، أو ينشب جدل بينهن وبين حمواتهن حول أزواجهن ، أو بينهن وبين أزواجهن حول حمواتهن ، تراهن ينطلقن في النحيب والولولة ... وعندما تبقى تتذكر أن « كمبينا » قرية كبيرة تماما ، وان أكثر من نصف سكانها هم من آل بادورارو ، وأنهم جميعا يتمتعون بأصوات ذات تناغم وجرس ، عندئذ ...

والواقع أن النساء من آل بادورارو يجدن متعة في نواح الاخريات وولولتهن تعادل متعتهن في نواحهن هن .. اذ يراقبن الامر عن كثب وهن ساكنات ، ويرهفن المسامع لمجمل المشهد ، ليسهبن فيما بعد ، في تحليله من وجهات النظر الادبية والموسيقية والفنية ... أما بالنسبة للرجال فسيكون لهم في هذا وقت عصيب حقا . فالرجال القادرون على تحمل منظر الدموع قليلون ، ونحيب النسوة من آل بادورارو وعويلهن يكون دائما مصحوبا بمحيطات من الدموع .

ويتعرض المثقفون المحليون لاصعب الاوقات طرا ... علما أن لكل منهم موقفه الخاص من هذا النواح والعويل. فمدير المدرسة الثانوية ، وهو مختص بالتاريخ ، ينظر الى الامر من وجهة نظر تاريخية .. ولاتجاهه العلمي هذا ، تأثير مهدىء عليه . والطبيب المقيم ، وهو من هواة الفنون الشعبية ، يهلل لكل دفعة جديدة من النحيب على أنها صفحة جديدة في المخطوطة الضخمة التي يعدها تحت عنوان « الحكمة » . أما مدير المزرعة الجماعية ، وهو مهندس زراعي شاب ، وكنيته ، طبعا ، بادورارو ، فلم يكون رأيا نهائيا حول الموضوع . والعويل ، بكل بساطة، يؤتيه نوعا من الورم في حلقه ... وآخر آرائه أن الناس هم مجرد كائنات بشرية ، من الصواب ، اذا داهمها الاسى والحزن ، أن يسمح لها بالتعبير عن أحاسيسها بالطريقة التي ترتئيها ...

لكل امرأة من آل بادورارو أسلوبها الخاص في الندب: بعضهن ينظمن كلماتهن ، وأخريات يفضلن النثر . واللواتي يتمتعن بموهبة أفضل يرتجلن الكلمات أثناء ممارستهن للنواح ، بينما تعمد أخريات الى الاستفادة القصوى من النصوص المتوفرة . وهنا لا بد من التأكيد على أن هناك عينات وليدة التأليف ، كما أميط اللثام عن بعض حالات الانتحال .

وعجائز آل بادورارو ، ذوات الخبرة بهذا الشأن ،

أثرن معركة من أجل لقب البطولة ٠٠ لكن كفاحهن كان محصورا في تحديد المركزين الثاني والثالث ٠٠٠ الخ ٠٠٠ حيث أن المركز الاول يزال ، منذ عشر سنوات ، وقفا على ايليانا بادورارو ، الارملة الشابة ، ذات العينين السوداوين الجميلتين ٠ وقد يبدو هذا غريبا ، حيث لم يعرف عنها أنها مارست الندب الا في مناسبتين ، أو في ثلاث مناسبات كحد أقصى ٠٠ وكانت الاخيرة ، منذ ثلاث سنوات تقريبا ، عندما توفي زوجها ٠ لكن تلك الايام ستبقى في القرية ، والى الابد ، تاريخا وذكرى لاشد الايام حزنا ، ولا يفوقها الا أيام الغزو التتري ٠

ويشاء حسن الطالع أن يكون مدير المزرعة الشاب غائبا آنذاك ، حيث كان يكمل دراسته بعيدا عن القرية ، وبالتالي وفر على أذنيه سماع تلك المناحة المشهورة ، التي كانت ولا شك ، ستترك فيه أسوأ الاثار ، وخاصة بعد ما صار يعرف عنه أنه يكاد يختنق بمجرد سماعه لوصف تلك المناحة ٠٠٠ وهذا ما حدا به الى تجنب تلك الارملة ٠٠٠ بل الواقع أنه كان يخشاها الى حد ما ٠

كانت ايليانا امرأة هادئة متواضعة ٠ وكانت من الجد والنشاط في عملها بحيث أنها كانت ، في كل خريف ، تتلقى مكافأة على أتعابها تتساوى من حيث النوع ومن حيث القيمة النقدية مع مكافآت القياديين في مجموعتها ٠ وكان أطفالها اليتامى الثلاثة ، باستمرار ، نظيفين وهندامهم مرتبا ٠٠ حتى أن أكبرهم ، وهو الثاني في صفه ، كان يحاول أن يحرز الدرجة الاولى ٠٠ وهذا ما جعل جميع صغار آل بادورارو الآخرين في القرية ينكرون عليه سعيه ، لان في عشيرة بادورارو من التلاميذ النجوم ما يكفي تماما ٠

وكان بيت ايليانا الصغير الهادىء ، والواقع في طرف القرية ، مسقوفا بالقش البني ٠ وعلى بابه كان يتدلى ، معظم الاحيان ، قفل عتيق يدفيء نفسه في الشمس ، بينما تكون سيدة البيت منهمكة في الحقل ، ويكون الاطفال في المدرسة وفي روضة الاطفال ، وعند المساء ، كانوا يعودون الى البيت على نسق ، ممسكين بأيدي بعضهم بعضا ، وفي أثرهم أمهم ايليانا ٠ وما أن يلجوا البيت حتى تتصاعد جدائل الدخان من المدخنة ، ويبين النور في النوافذ ٠

وعندما يطل فجر اليوم التالي يكون القفل معلقا على الباب من جديد ، بانتظار طلوع الشمس ليتدفأ بنورها ٠

في أحد أيام اصيف الحارة شبت النار في البيت بشكل مفاجيء وطبيعي أنه كان خاليا من سكانه ٠ ولم يدر أحد كيف بدأ الحريق ، انما في الوقت الذي كان فيه الجيران يهرعون نحو النيران ، كان البيت قد أصبح مجرد جدران متفحمة ، وكومة من الرماد المتوهج ٠ وانذاك ، تقدم الجد نيكيتا ، أكبر مسني آل بادورارو في القرية ، والتقط القفل ، وفركه بالارض ليبرده ، ثم قال وهو يتنهد :

« يا للنواح والعويل اللذين سنسمعهما الان ٠٠!! »

بعد ذلك بقليل وصل مدير المزرعة ٠ كانت عربته تزحف على الدرب الضيق ببطء ، جاهزة لكي تعود أدراجها في أية لحظة ٠ ولم تكن ايليانا قد حضرت بعد ٠ ومهماكان الامر ، فان منظر الجدران المتفحمة ، والبقايا الحزينة ـ هذا المنظر نفسه ـ كان فيه من الاسى ما حقن حنجرة المدير بالورم ٠ فمضى في التهام سيكارته ٠٠ وكرع كأسا من الماء كان أحد الجيران قد قدمه له ٠٠ ثم أشعل لفافة أخرى ٠٠٠ وسأل عن مكان ايليانا ٠٠ وقيل بأنها كانت تذري القمح في مزرعة جماعية مجاورة ٠

ودعا المدير كبير آل بادورارو لمرافقته ، ومن ثم انطلقا معا باتجاه المزرعة المجاورة ٠ ولم يطل حديثهما أثناء الرحلة ، لان المزرعة كانت قريبة جدا ، ولان الطريق كان صالحا ٠

وفور توقفهما قرب كومات القمح نزل الجد نيكيتا من العربة ، والقلق باد عليه ٠ وقرفص المدير بجانب احدى كومات الحب ، ثم غرف منها حفنة ، وتركها تتساقط من بين أصابعه وكأنه يعدها حبة حبة ٠ أثناء ذلك ، كانت ايلينا قد أتمت لتوها فرش منديل نظيف على العشب ، وهمت بتناول اللقمة الاولى من زوادتها ٠ وما أن طالعها منظر الرجلين حتى توقفت ٠ ونظرت الى الجد نيكيتا بقلق ومشى الجد باتجاهها مدعيا المرح ، وقال :

« اسمعيني يا ايليانا ٠٠٠ »

وزاغت عينا المرأة المسكينة ، وبدتا وكأنهما تطلبان النجدة ؛ ثم همست :

« أيها الجد نيكيتا ... »

لكن بادورارو العجوز ـ وهنا ظهرت معقولية السبب الذي جعل المدير يدعوه لمرافقته ـ الذي تحول لونـه الى أرجواني ، صرخ ، كما لو كانت ايليانا ابنته هو :

« كفي عن هذا ... لن أتحمل أية حماقة ...! »

وارتخت العينان السوداوان ، وتمتمت ايليانا :

« أيها الجد نيكيتا ... ».

وقاطعها الجد بقوله : » اصغي الي أيتها المرأة الحمقاء ... لقد احترق بيتك منذ قليل ... هل تسمعينني ؟ »

واضطر بادورارو العجوز للتوقف عند هذا .. لان المدير الشاب كان كالمشدوه ، ولان ايليانا أخذت تعصر يديها ببعضهما بعضا . ثم تابع الجد كلامه :

« اصمتي أيتها المرأة ... لقد وعد المدير بأنيكون لك بيت جديد ، تعودين اليه في الغد لتجديه كمسكن لك.. وسيكون أحسن من أي بيت سبق لجدك ، أو لجد جدك ، أن امتلكه ... ذلك ان لم تندبي ... وسينام أطفالك الليلة في روضة الاطفال ... ونحن في غنى عن ..... أنت تعرفين ماذا .. »

وبدت عينا المدير تستعطفان ايليانـا ، وكأنهمـا تقولان :

« رجاء .. ابذلي جهدك .. ولا تولولي ... اني أعدك .. »

يالاليانا المسكينة ... صارت تضغط على أسنانها .. تكبل كفيها المليئتين بالندوب ... وتعمل قبضتها الواحدة بالاخرى .. بينما صارت سواق من الدموع تنحدر عـلى وجنتيها اللتين لوحتهما الشمس ، لتتساقط من ذقنها عـلى ركبتيها . وتتفشى في بقعتين رطبتين عـلى طرف ثوبهـا لقطني .

وخلع بادورارو العجوز قبعته ، وفرد جبينه ، ثم قال وهو ينتفس الصعداء ان انصرافها الى البكاء يعني انها لن تولول .. هيا بنا .. دعنا نبدأ ببناء بيتها الموعود .»

.. وفعلا ، بنوا لايلينـا بيتا .. فقـد اندفع آل بادورارو كلهم الى حيث سيكون البناء. وعملوا حتى المساء، ومن ثم طوال الليل ، ، وكانوا لا يزالون يعملون عندما طلع صباح اليوم التالي . لقد هدموا بقايا البيت القديم ، ونقلوا الانقاض كلها ، بالعربات اليدوية ، الى الوهدة الواقعة في ضاحية القرية .

بني البيت الجديد في منتصف فناء الدار ، تحت شجرة جوز هرمة . وجعلوا السقف من القرميد ، ليطمئنوا الى أنه لن يحترق أبدا . كما جعلوا أرضية الغرف الثلاث، وأرضية المطبخ ، قوية ثابتة ، ودهنوا الابواب والنوافـذ الجديدة باللون الاخضر الفاتح ، وهو اللون ذاته ، الذي كانت عليه في البيت القديم .

وبحلول مساء اليوم التالي ، كان أكبر مسني آل بادورارو الوحيد الذي بقي في الفناء . فثبت قفلا عـلى الباب الجديد ، ليكون اقفاله ممكنا عندما تدعو الحاجـة لذلك . أما الباقون فكانوا جميعا على الطريق العام خارج الدار .. وهناك .. وقف طبيب القرية وحده ، غارقـا في أفكاره ... وربما كان يتحسر على حقيقة أنه حرم مما كان من المحتمل أن يكون أفضل مقدمة لمخطوطته الضخمة .

وعلى حين غرة ، أطبق الصمت على الحشد . فقد ظهرت من الطرف البعيد للطريق ، امرأة صغيرة نحيفة ، يتبعها ثلاثة أطفال يمسكون بأيدي بعضهم بعضا . وتقدم هؤلاء ، ايليانا وأطفالها ، ببطء في أول الامر ، ثم مالبثوا أن اندفعوا جريا ، ثم خففوا من اندفاعهم ، وعادوا كمن يزحفون . وتوقفت العائلة الصغيرة خارج البوابـة ، وارتفعت يدا الارملة نحو السماء.. ثم أهوتاكالمقصوفتين، فوق أكتاف الاطفال بينا انهمرت الدموع على خديهـا ، وصارت شفتاها ترتعشان بقوة . وهنا ، وللمرة الثانية ، تحول لون أكبر الاحياء من آل بادورارو الى ارجواني ، وصرخ كما لو كانت ايليانا ابنته هو :

» لن نتقبل أيا من حماقاتك .. ! أتسمعين .. ؟ هيا .. والقي نظرة على بيتك الجديد . لم يبق علينا الا أن نطليه باللون الابيض .. ! «

ليس من يأكل العصي كمن يعدها .

وبرزت من الحشد امرأة عجوز ، ذات شعر أشيب ، ومن آل بادورارو ، ثم تقدمت من ايليانا قائلة :

« انها لفكرة صائبة • هيا بنا الى البيت لنلقي عليه نظرة من الداخل • »

وزحف الجمهور خلفهما بصمت • وبدأت عجوز آل بادورارو الكلام بالتصريح بأنها أحبت البيت الجديد •• ثم قال الاطفال انهم أحبوه •• حتى أن أكبرهم تمكن من أن يخط بقلم الرصاص « ب • بادورارو » على الدهان الطري ، مما جعل عجوز بادورارو توبخه • أما أصغرهم، فقد خلف أثر بلل على الارض ، وذلك اما بسبب اضطرابه، أو لان الجميع قد نسوه ، وهذا ما دفع عجوز بادورارو لان تربت عليه مهدئة من روعه •

كان البيت ، بالفعل بيتا جميلا • وبدت فيه ، على السدة ، أكياس الطحين ، كما زود بأسرة جديدة ، ومصباح كاز مملوء وبجانبه علبة كبريت •

بعد فترة ، بدأ الجمهور بالانصراف • وعندما هبط الظلام ، شعت نوافذ البيت الجديد بالنور ••• ووضعت ايليانا الاطفال كلا في فراشه • لكن شعاع ضوء النوافذ استمر حتى ساعة متأخرة من الليل • والواقع ، أنه لم يكن باستطاعة أحد أن يغفو بسرعة في تلك الليلة • فذوو الالسنة العابثة يتوقعون أن تنفجر ايليانا بالولولة في أية لحظة وبأي شكل من الاشكال ، بصرف النظر عن أن أطفالها لم يمكثوا بلا سقف خاص برؤوسهم سوى ليلتين اثنتين فقط • لكن أي امرأة من آل بادورارو لم تستطع بسهولة أن تقاوم الرغبة في الندب على حقيقته أن أطفال ايليانا ظلوا مشردين لمدة يومين كاملين •

لكن ايليانا لم تولول ، لا آنذاك ، ولا في الليتين الثانية والثالثة ، رغم أن المصابيح في البيت الجديد بقيت مضاءة حتى الفجر •• وكانت ايليانا تبدو منهمكة وحزينة وصار كل شيء ينزلق من بين يديها •• بغض النظر عما كانت تقوم به •

وكان اليوم الرابع يوم أحد • وطلبت ايليانا من احدى خالاتها أن تمكث مع الاطفال للعناية بهم ، ريثما تنطلق هي الى الغابة فتجمع بعض الفطر • فقد تكهن الناس بأن الغابة ملأى بالفطور على أثر المطر الاخير الذي هطل أثناء طقس دافىء • وعرض عليها بعض جيرانها أن يرافقوها ، لكن ايليانا كانت على عجلة من أمرها لم تنتظر أحدا •

وعلى الرغم من أن المطر كان قد هطل في جو دافىء ، فقد ظهر أن الفطور كانت قليلة في الغابة ، ودليل ذلك أن ايليانا عادت في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم ، وليس في سلتها الا حوالي دزينة من تلك النباتات والواقع أن الالسنة العابثة تناولت ذلك على أساس أن الفطور فقدت قدرتها على المقاومة والاستمرار ••• لان امرأة سمعت ، في حوالي الظهيرة ، وهي تنوح وتولول في أعماق الغابة •• وكان في الطريقة التي استقبلت بها ايليانا هذه التأويلات، ما يجعل الدم يتجمد في عروقك • لكن الالسنة العابثة لا تكف أبدا عن التكهنات •

وعلى العموم ، فقد كان هناك أمر ما يثير الريبة فعلا : اذ منذ يوم الاحد ذاك فصاعدا ، أخذت ايليانا تتحاشى المدير الشاب • وعندما كانا يلتقيان صدفة ، تمر بسرعة ، وعيناها في الارض •• وقد حدث هذا مرات عديدة ، الى أن تصدى لها المدير في آخر مرة وسألها : « لم هذا الحزن كله يا ايليانا ؟ »

ورفعت ايليانا رأسها ، وكانت أهدابها ترف ، ثم ابتسمت بعينيها ، وتساءلت :

« وهل أنا حزينة فعلا •• ؟ ! »

وابتسم المدير الشاب أيضا ، وقال : « لا بد أنني كنت أتخيل هذا •• »

وابتسمت ايليانا للمرة الثانية ، وهي تتمركز ، لتتابع طريقها بخطى عجلى ، وبرأس مرفوع ••• وكانت ظلال أشجار الاكاليا على جانبي الطريق ، تنعكس في عينيها السوداوين الصافيتين •



تلك واحاتنا

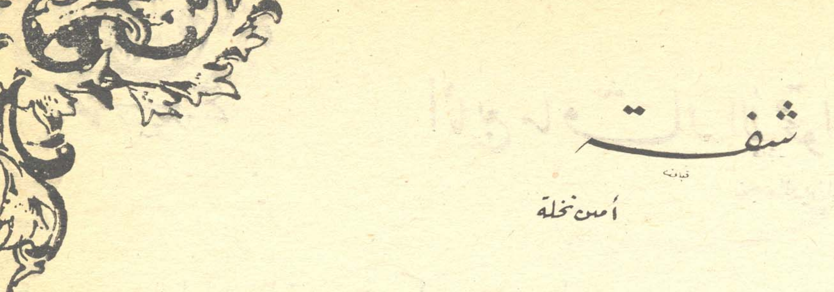
بدوي الجبل

سالف الشرق ملك قحطان واليوم ... لقحطـــان والغد المأمول
وله هــذه الجبال المنيفــات ... وتلك الربى وهذي السهول
والسموات والكواكب في الشرق ... لقحطان موطـن وقبيــل
والنبوات والفنــون وملك ... في شباب الدنيا عريض طويل
أريحي تكاد تورق بالنعمى ... لأعدائـه القنا والنصول
قد ورثنا البحار من عبد شمس ... وعليها الغزاة والأسطـــول
أرز لبنان أيكة في ذرانـا ... والفراتان ماؤنــا والنيــل
ورياحيننا على تونس الخضراء ... خضراء أين منها الذبول
كل روض في الشرق من دم آبائي ... منــدى معطر مطلـول
ولباناتهم على كل صحراء ... غدير صاف وظل ظليل
حيث يحنو الصفصاف نعمى على ... الواني ويبكي على الشهيد النخيل
كل تكبيرة على الرمـل نفح ... وعبير سكب وأيك بليل
ذكر الله فالهجير شفـــــاه ... قانيات والليل طرف كحيل
لفني والدجى على هذه الصحراء ... سحــر منمنـم مجهول
لفني والدجـي فأفنـى كلينـا ... سعة من جلالـه وشمــول
أي سر نريد في الكون ؟ والكون ... معنى بسـرنا مشغـــول
نحن كون ، لا كائنان ضعيفـان ... ألح الهوى وتم الوصول



تلك واحاتها الظليلة ، والظـل
زاهرات السماء حيا بها قومـي
فعلى كل نهلة من شذاهـا
وحنين الى السماء كما حن
رب !! روحي طليقة في سماواتك
بعد الفرق بين روحي وجسمـي
أنت يا رب غاية ، والى الغايـة
لك حبي ومنك حبي فهل يعطى
لك حبي فهل لفقرى اذا أهدي
عبراتي عبادة وابتهال
وصلاتي تأمل ، ومناجاتي
وبلائي ان النعيم الذى ارجو
لم يضع في الظلام نورك عن
معدن الخير والجمال المصفى
وأنا السائل الملح ويجلو
وبيمناى ألف كنز عطاياك
رب نعماك أن تنضر قلبي
رب قلبي زينته لحمياك
هيئت في سريرتي لك ربـي
جوهر القلب وهو ابداع كفيك
وبقلبي رضوان يهفو لمرآك

غريب على الرمال نزيـل
من الحور في السماء رسول
شفة عندم وخد أسيل
الى نعمة الشفاء العليل
والجسم موثق مغلول
جسدي آثم وروحي بتول
انت الهدى وأنت السبيل
من السائل الكريم المنيل
الى كنزك الغني قبول
وشهيقي التكبير والتهليل
خشوع ، وزفرتي ترتيل
نعيم مسوف ممطول
قلبي ، فقلبي الى سناك الدليل
وجهك الخير الكريم الجميل
وحشة الذل أنك المسؤول
وما في يدي الا القليل
بمحياك فهو صاد محيل
فمر تنسكب بقلبي الشمول
سدرة المنتهى وطاب النزول
على ما به كريم أصيل
وندى سريرتي جبريل



شفة

أمين نخلة

في (الأشرفية) يوم جئت وجئتها   نفسي على شفتيك قد جمعتهـــا
ذقت الثمار ونكهة ان لم تكـــن   هي نكهة العنب الشهي فأختهـــا
الكرم أورق يوم جئت عريشـــه   أروي عن الشفة التي قبلتهـــا
وترنـــح العنقود يقطر لـــذة   لما انثنيت فقلت اني ذقتهـــا
يا قوتة حمراء غاصت في فمـــي   وشقيقة النعمان قد نولتهـــا
لولا نعومة ما بها وحنو مـــا   بي في الهوى للقمتها وللكتهـــا
ملساء مر بها اللسان وما درى   لولا تتبع طعمها .. .. لأضعتها
وكأنما بخلت علي بلفظـــة   وهناك في كتب العبير قرأتهـــا
من مرقص الغزل ارتجلت قصيدتي   وبكل واد للهـــوى رددتها ..
أفرغت من شم ومـــن ضم ومن   متعات ثغرك في الحروف وصغتها
شعر بأشهى الطعم من أشهى فم   طابت قوافيه وأسعد بختهـــا
وألذ تأدية وأفصح منطقـــا   اغضاء عينك يومذاك ، وصمتهـــا

أتابع ما قاله الأقحوان

شعر
نجم الدين الصالح

تململت الخمر في كوبها — وهب على الوجد عطر الجنان
أريج تطوف من حوله — ورود الجمال ، وضوء الجمان
وذابت أنوثة هذى التي — تكابد في صدرها حلمتان
يحدثني عمق أحداقها — بما هو خلف حدود الزمان
وما لم أذق لهبا مثله — وما لم تطوق يديه يدان
لماذا أجيب وما في يدى — وحقك الا ارتكاس السنان
رماني بما لم يطق خافقي — وحيرني أمر هذا الرهان
فصفق على الناب يا سحرها — وهاتي رموشك يا مقلتان
فما كنت لولا فتون عميق — ولولا امتشاق ولولا افتتان
وما كنت لولا النداء الذى — يلذعني خلفه سالفان
مليحة .. ها أنا عبر الشذى — أتابع ما قاله الأقحوان
وأحفر في الشمس الياذتي — كرف السنونو على السنديان
وأحضن كل الجراح التي — تقود شبابي كالديدبان
أتيت ألم النجوم الوضاء — .. وأهصر في الفجر غض البنان
وأرشف كل الحروف التي — تذر عطورك خلف الكمان
يظلل قلبي بروج النهود — ... ويكلأ كل العطور الحسان
وأشرب من ضوئها ما أشاء — كما تشرب الحسن غمازتان
أتيت أقدم كفارتي — ويذبح نهدك سرى المدان
وأغسل جرحي بضوء جديد — وأطلق خلف شبابي العنان
أتيت لأرجع تفاحتي — وأقفل قبل فوات الأوان




زهرة

ماجد خير بك

بين الوريقات أفكار ملونـــــة   كأنها شفق غالتــه أضواء

فكر يروح مع الأنسام منتشــرا   وفكرة في مطاوي العطر عذراء

وفكرة في فم النحل الدؤوب على   دمع الصباح وفكر مصه الــداء

وفكرة في سوافي الريح بائسة   وفكرة في لهاث القيظ عميـــاء

هذي مخيلتي في كل آونـــــة   وجلى يعيث بها سقم ، وأهواء

يا مرسل النور ! اني تائه ابــدا   قلبي كقافلة والعمــر صحراء

هات الرشاد لنفسي والضيــاء الى   قلبي والا أضاعتنـــي الأدلاء



بائعة الهوى

محمد منذر لطفي

مرت بجانبه .. فأطلق آهـــة   فتبسمت .. ورنت بطرف ناعس

فمشى بجانبها .. وراح يبثهـــا   همسا شقيا .. من غرام بائس

ومضى يزف لها التحية خلســـة   ويلوب كالمحموم لوبـــة فارس

حتى اذا غاب الرقيب .. ولم تلح   في الشارع المهجور مقلة حارس

قبلت .. فكان ضجيعها في ليلة   ضجت فجورا بالضجيج الخامس

يا أنت .. يا بنت البغاء على المدى   تبت يد الساقي... وكف الغارس

من فجر البركان فيك صغيرة   حتى غرقت ببحر ليـــل دامس

من أطلق الذئب الأكول ونابه   في روضك الغض الندى المائس

من ألهب الشهوات فيك عنيفة   فخطرت بين مضاجع ومجـــالس

ونشأت نشأة شادن عرف الهوى   حدثا .. فأرقه هتاف الهاجس

وتصارعت قيم بنفسك... وانتهت   بالشر والاشراء وقعة « داحس »

أشهرت في وجه الفضيلة خنجرا   وغرسته في طهرك المتقـــاعس

وتنافس العشاق حولك في الدجى   فنحرت نفسك بالهوى المتنافس

وغدوت لاهم لديك سوى الغنى   تتعشقين صدى الرنين الهـــامس

ومضيت في درب الهوان صبية   يلهو الجميع بروضـــك المتجانس

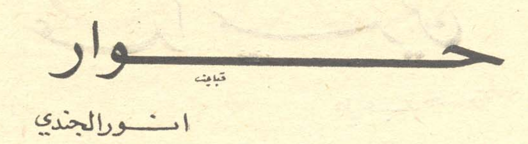
هذا يجيء... وذا يروح... وذا فتى   حدث .. وذا كهل الغرام اليائس

بنت الهوى .. بالحب لست جديرة   فلقد قضيت على العفاف الدارس

أولى لقلبي في الحياة - وطيبهـــا   في الحب - أن يهوى سلافة عانس

ودرجت في عرف الهوى ألعوبة   يا أنت يا ذات الازار الناعس

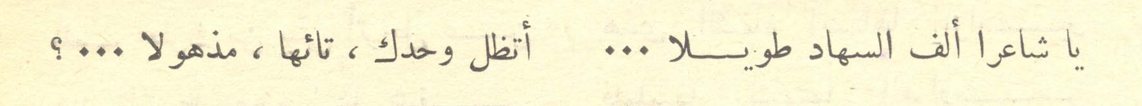




حوار

شعر

انور الجندي



يا شاعرا ألف السهاد طويلا ... أتظل وحدك ، تائها ، مذهولا ... ؟

ضحك الربيع ، وهومت أطياره ... وبقيت أنت ، معذبا ، مخبولا ...

فيم التنكر للحياة جميلة ... والعمر أوشك أن يروح عجولا ... ؟

فانس الهموم الكاسرات هنيهة ... واشرب خمورك ، بكرة ، وأصيلا ...

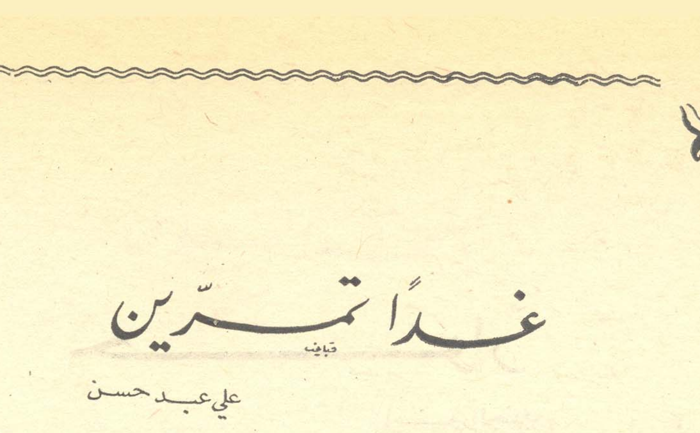
واسخر من الزمن الجبان ، وأهله ... ودع النفاق ، وحارب التدجيلا ...

شرف المروءة ، أن تعيش مكرما ... والموت ، حين تؤمل المأمولا ...

أطرقت من خجل ، وألف جنازة ... في الصدر ، تلعن حلمي المجهولا ...







غداً تمرين

علي عبد حسن

لا الدرب يغمر خطوي ، لا الأزاهير ولا تنقر شباكي العصافير
نفرت حتى القوافي فهي شـأردة عني وما زارني في وحشتي النـور
للمت عطرك من بيتي أترحل عـن هذى الشفاه أتنساها المزامـير
هنا بقايا على وجهي على شفتـي فلملميها تشهتها القواريـر
وللمي الزفرات النار .. وارتحلـي والوشوشات اللظى لا الذنب مغفور
وللمي عن جفوني ما سكبت فلـن تطيل غيبتها هـذى الشحارير
غدا بصدرك تهوى الف عاصفة لن تستكين بنهديك الاعاصير
غدا تمرين قربي نصـف غامـزة جفنيك والهدب بالاحلام مخمور
وتزرعين بقايـا الطيب باكيـة على يدى وتقولين : المقاديـر
لاترجعي . ودعينـا في تغربنـا فقد يحن الى المهجور .. مهجور
هنا وقفت هنا حدثت وارتعشت كاللحن في الشفة الكسلى التعابير
هنا ضفرنا حكايانا وعذبنـا من الحكايات منشـور ومضفور
وقام في مقلتينا سرهـا وغفـا على الضلوع الثكالى فهو مقبـور
دعي بواكير حب ، وارحلي وخذي كل الذى شئت ولتبق البواكـير
دعي بقية عطر منك وارتحلـي غدا تحن الى الكرم النواطـير




أنا وأنت

شعر: محمد مصطفى درويش

ان أنت فتحت روحي فما يغلق باب

في خاطري لا تمري كما يمر السحاب

فيك التأذي لذيذ فيك الضنى مستطاب

كوني : كتابي المدمى أشهى جليس كتاب

كوني:اغتراب جنوني ان الجنون اغتراب

كوني : سؤالا عصيا يضيع فيه الجواب

أنا وأنت صحارى يجوع فيها السراب

بيني وبينك حزني : مفازة ، لا تجاب

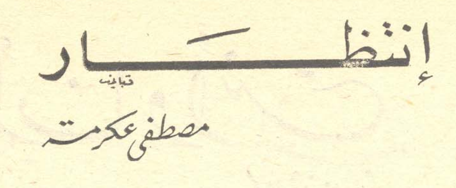
لا تسكتيني حطام جسمي وروحي خراب

يا مثخنا بالخطايا منها اليها المتاب

ما قاد صحو اليها فهل يقود شراب ؟







.. ورحت ليلة كان الوعد أنتظر — وقد تسمر مني السمع والبصر

الصمت أيقظ حولي كل هاجسة — كأنما الصمت للأنفاس معتصر

أود أغرق من مروا بأسئلتي — لعل بعض جواب عند من عبروا

وأستشف العبير السمح علّ شذى — يسري لصدري ، فأصحو .. ثم أنتشر

مضى من الليل ما طالت دقائقه — والليل لولا انتظاري .. كان يختصر

فملّ حتى انشغالي .. والظلام طغى — وكاد يخبره في مقلتي الشرر

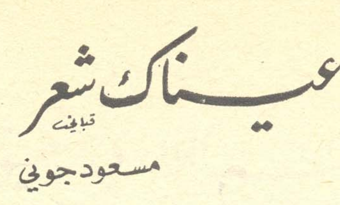
تأبى سماع ضجيج مرهق أذني — وقد أبى أن يرى من حوله النظر

تقاسمتني ظنون لا اهتداء لها — وأسلمتني الى أصدائها الفكر

حتى شغلت عن الدنيا وعالمها — وغبت عنها كأني مسني الخدر

فأطبق الليل أجفاني .. ورق لها — وما درى أن فيها الجمر يستعر

ياليت أحباب قلبي .. ليتهم علموا — قد مر فوق عيوني كل من عبروا



حملتك في قلبي ربيعا من الحب ... فكنت ربيع الحب في خفقة القلب

ولونت أيامي بألف حديقـــة ... تأنق في ابداعها ساعد الـرب

وفتحت آمال الشباب براعمـا ... تذوب على زندي، وتعبق في دربي

أحسك في نفسي رؤى شاعرية ... يموج بها نيسان في موسم الخصب

سجاياك : سحر انثوي ، ولفتة ... تذيب ضلوع الصخر في الشاهق الصلب

وعيناك شعر ، لا أقول قصيدة ... أرى ألف عنوان على الجفن والهدب

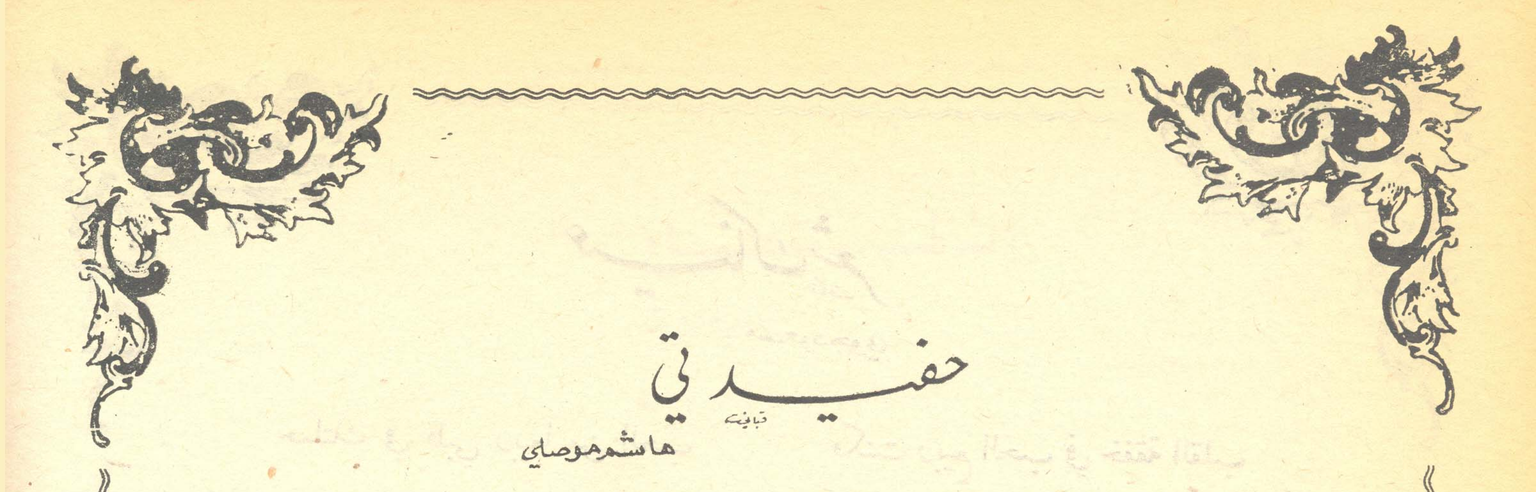
فيا أنت ، يا ذكرى رفيف خيالها ... أوسده جفني ، واسكنه لبـــي

دعي عنك أحلام الشقاء' وبادري ... الى خلجات النور، والسحر، والحب

ستبقين في ذهني تباشير موعد ... شريد الأماني، مشرق، رائع، رحب

نثرت أماني" الموشاة ' فارقبـي ... مواعيدها الخضراء عن موعدي تنبي



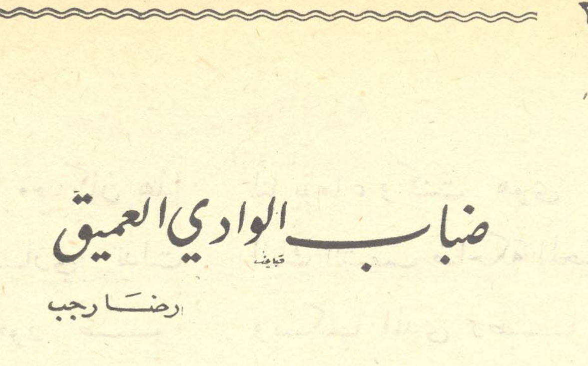


حفيدتي

قباني

هاشم موصلي

فريدة في سنهـا الثامنـه ... محاسنها لم تعد خافيه
تفتح شيئا فشيئا كمـا ... تفتح سوسنـة ناديـه
ويا سحر عين كأن السمـا ... اصطفتها لزرقتها الصافيه
فيا حسن ذاك المحيا الوضي ... ويا طيب ذاك الشذا الفاغيه
وصفحة خد تقاسمها الـز ... نبق الغض والوردة القانيه
وتمشي فتحسبها روضـة ... تنقل في رقة باديـه
وتمشي القلوب جنيبا لهـا ... تحصنها بالرقى الواقيـه
وتدفع عنهـا عتي الرياح ... وتسمح بالنسمة الوانيـه
اذا ما بصرت بها مـرة ... تعمدت تبصرها ثانيـه
كأن ملاكا فريد الجمـال ... تقمص في ذاتهـا الغاليـه
سمت خلقـا فغدت قـدوة ... على نهجها تغزل الغانيـه
نمتهـا فروع تناهـى الى ... اصول شمائلها عاليـه
ولا عيب فيها سوى أنهـا ... أعز وأحلى من العافيـه
وأغلى على القلب من ذاتـه ... ولو أنه صخرة قاسيـه
ومالي على الله من منيـة ... سوى عيشها عيشة راضيه



ضباب الوادي العميق

شعر

رضا رجب

تراني هل كبرت على غرام … شهدت به النعيم السرمديا ؟!
قطفت مع الزمان كتاب حب … تريف الحرف معسولا نقيا
تراني هل كبرت على غرام … ملأت به المدى دفئاً ورياً ؟!
أمد الى السماء يدي بزهو … فأقطف من ملاعبها الثريا
وينهل الضياء على اهابي … وينسفح العبير على يديا
وتغسلني مويجات عذارى … من النسمات سكرى الدل ريا
وتأنس بي طيوف طافرات … ترف على النعيم **بمقلتيا**
وينهمر الشذا شلال نعمى … يعانقني ويحضن ناهديا
ترى أنسى هواك ولا أبالي … وقد سويتني بشرا سويا

● ★ ●

ذريني للهموم وللأماسي … وللتذكار أبسط راحتيا
أجر ذيول أحزاني وألقي … ورائي ذلك الزمن الغويا
وأنهل في سكون الليل كأسي … معطرة معتقة **الحميا**
ذريني في بحار من عذاب … يذوبني الأسى شيا فشيا
فما عاد الهوى طفلا غريرا … يداعبني ، ولا قمرا مضيا
أرى الأحزان تحشد ماالديها … لتمتحن المحب العبقريا ؟!

● ★ ●



« أحبك ؟؟ » لا أحبك .. كان هذا لنا يوما ، وكنت هوى شهيا
وحين سكنت أشعاري تدلت اليك الشهب ضاحكة المحيا
تموج على يديك بحور ضوء ويسكبها المدى رطبا جنيا

● ★ ●

كبرت ، فلا الجمال يدوم بعدي ولا الماضي يطل رؤى نديا
كما يأتي الهوى صعبا قويا يموت ، وينتهي صعبا قويا

● ★ ●

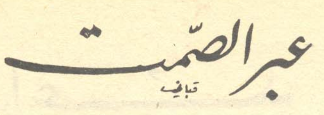
« أفكر فيك ؟! » لا . هذا محال فما أطعمت **طيفك ناظريا**
« افكر فيك ؟! » يشتمني زماني يقول : « تحب كاذبة بغيا » ؟!
وها اني أمر على طيوف من الماضي فأطويهن طيا
وحين يقال : « كان لها محبا » أطأطىء هامتي خجلا حييا

● ★ ●

دعي ما تدعين . **فأنت أنثى** أذلت بالهوى رجلا .. نبيا !!

١٩٧٥





مأمون مورللي

وأهيم خلفك يا نحيل الطيف يصلبنـــي دجـــاء

في كل زاوية .. تلوح على الفراغ .. صدى لقاء ..

.. وتعود يا همّ المساء .. تعود مخنوق النـــــداء

في خاطر الشفق الجريح ... تعـود ياوهم المســـاء

.. وتمر مرفول الرداء تلم شطـــآن الضيـــاء

يا باهت الأنفـاس عبر الصمت في جــوف الخواء

يا ناثراً ريح الموات ... علـى جنـــاح الانطفـــاء

يا ساجي الأوتار .. آه ... جن في صدري الغنـــاء

اني هنـــا ... وهناك في كل ابتداء وانتهــــاء

في خاطري .. قمر ... يطل على الزمان ... بلاسماء



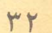



مواعيد

قباني

اسماعيل عامود

ترى هل تعود ...؟ وكر زمان .. على متع اللهفـــة السالفـــه
وهلت شجون .. شجون تدف بأرضي وتجني منى جارفـــه
تخط لدربي هواك العجيب ، وتبني رؤاك دنـى وارفـــه
ترى هل تعود .. ؟ وغام سؤال على مفرق الرغبة اللاهفـــه
ومادت حياة بغور سحيق تلملم وعدا .. طغى العاطفـــه
وغلغل مثـل شعور غريـب بصدري .. وجاش كما العاصفه
ترى هل تعود ...؟ فصدري الرحيب تفتح لليلة القاصفـــه
تكور فيه العبخ العذوب .. هناك .. لدى الذرو الواقفـــه
وراحت تلالأ .. تلالأ .. تموج ، وترفل ولهانـة عازفـــه
ـ تقول : شبابي نـداء الربيع ، على كرمتي تلعـة راعفه
وبحري ، هذا اللجوم العميق لعيني ... للرحلة الهادفـــه
وثغري النبع .. يا للفتون تخضب بالبكرة الراكفـــه
ترى هل تعود ...؟ دمائـي شابت على ضفة الشفـة الراجفـه
لتنهل منها نبيذ الحياة ، وتنعم بالبرهة الغارفـــه
ترى هل تعود .. ؟ وضاعت رغاب .. على مسرب الحيرة الواجفة
ومر زمان عتيق يرود مواعيـدك الثرة السالفـــه



ابن العميد

بقلم احمد دوغان

حياتــــه :

ابن العميد هو أبو الفضل محمد بن الحسين ،ويعود أصله الى أسرة فارسية من مدينة (قم) ، وكان أبوه وزيرا وكاتبا ، ولهذا نشأ ابن العميد في بيت أدب وكتابة(١) ، وقد قال الثعالبي(٢) : « ولم يرث ابن العميد الكتابة عن كلالة بل كان كما قال ذو الرمة في وصف صياد حاذق : (ألفى أباه بذاك الكسب يكتسب) ٠

أما أبو الفضل فلم يأخذه أبوه معه الى بلاط السامانيين ، بل تركه في رحاب (البويهيين) ما بين الري وكور الجبل وفارس يتدرج من منصب الى آخر ، بفضله وذكائه وحسن تصرفه وبراعته ، حتى تمكن من الاستقرار في المكان الاعلى من وزارة ركن الدولة البويهي وكان ذلك في عام ٣٢٨ للهجرة ٠

الا أن ابن العميد لم يكتف بمنصبه الوزاري ، وانما أخذ يتدبر أمور الدولة ، ويخوض المعارك ، الى جانب كونه عالما وأديبا ماهرا تخرج على يديه كثير من الادباء«كالصاحب بن عباد » و « عضد الدولة » وابنه أبي الفتح (٣) ٠

وكان ابن العميد يقارض الادباء ، ويعقد المناظرات الفقهية والكلامية بين الفقهاء والمتكلمين ، كما كان يكاتب الاصدقاء شعرا ونثرا ٠

والحق ٠٠ ان أبا الفضل صاحب طريقة في الكتابة تفرد بها وعرفت باسمه ٠٠ في زمانه ، وما بعد هذا الزمان ، ورسائله أكبر شاهد على فنه الكتابي ، وهذا جل موضوعنا في هذا البحث ٠

وخير خبر موثوق يجمع لنا آثار ابن العميد خبر (مسكويه)(٤) (انه كان أكتب أهل عصره) وأجمعهم لآلات الكتابة حفظا للغة والغريب ، وتوسعا في النحو والعروض ، واهتداء الى الاشتقاق والاستعارات ، وحفظا للدواوين من شعراء الجاهلية والاسلام ، أما المنطق وعلوم الفلسفة والالهيات منها خاصة فما جسر أحد أن يدعيها بحضرته الا أن يكون مستفيدا أو قاصدا قصد التعلم) ٠

وكان ابن العميد يختص بغرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها أحد كعلوم الحيل (الميكانيكا) التي يحتاج فيها الى أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة ، وجر الثقيل ، ومعرفة مركز الاثقال واخراج كثير مما امتنع على القدماء من القوة الى الفعل(٥) وأكبر الشعراء في ابن العميد هذا الجانب كما أكبروا فيه بلاغته وفصاحته ، وعبر عن ذلك « المتنبي » تعبيرا بديعا في قصيدته الرائية(٦) :

من مبلغ الاعراب أني بعدهم
شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه
متملكا ، متبديا ، متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما
رد الاله نفوسهم والاعصرا

وفي الدالية :

عربي لسانه ، فلسفي
رأيه ، فارسية أعياده
خلق الله أفصح الناس طرا
في بلاد أعرابه أكراده

منزلة ابن العميد الادبية والاجتماعية(٧) :

من هذا جميعه يتأكد له في عالم الادب والاجتماع منزلة عالية ، وخير دليل على ذلك ما أجمعه أدباء عصره ك (مسكويه) و (الثعالبي) و (أبي حيان التوحيدي) لانه قرن المركز العالي بأدب عال وهذا ما دفع معاصريه الى أن يلقبوه بالاستاذ الرئيس ، كما أن الثعالبي قال عنه «انه أوحد العصر في الكتابة » وقال مسكويه (وأما كتابته فمعروفة من رسائله المدونة ، ومن كان مترسلا لم يخف عليه علو طبقته فيها) وهذا ما دفع (ابن خلكان) الى القول : « وأما الادب والترسل فلم يقارنه فيه أحد في زمانه ، وكان كامل الرياسة ، جليل القدر ، ويدلك على منزلته وفود الادباء والعلماء عليه من مختلف الاقطار .

ولعلنا .. نستزيد من المعرفة على معرفته من مديح المتنبي له ، ونحن نعلم أن المتنبي لم يمدح الانسان الا أن يكون جديرا بهذا المدح . وابن العميد مع هذه الصفات والثقافة والنبوغ « كان قليل الكلام نزر الحديث الا اذا سئل ، ووجد من يفهم عنه ، فانه حينئذ ينشط فيسمع فيه ما لا يوجد عند غيره مع عبارة فصيحة وألفاظ متخيرة أو معان دقيقة لا يتحسس فيها ولايتلعثم كما أنه حسن العشرة، أخلاقه طاهرة ،ونفسه نزيهة » .

أسلوب كتابته وفنه الانشائي :

وكما نعلم أن ابن العميد من رجال القرن الرابع الهجري .. وهذا القرن غريب في طوره الادبي اذ وصل الاسراف الى حده الاعظم في استعمال السجع والمحسنات البديعية كالجناس والطباق .. وعلى الاخص في دور (بني بويه) وان النقاد ومؤرخي الادب يؤكدون على أن الاسلوب المحلى بالسجع والبديع في الادب العربي قد بدأ على يد أبي الفضل بصورة خاصة ، ولهذا عد (ابن العميد) أستاذا لهذه الطريقة الجديدة في الكتابة ، ثم تابعه بعد ذلك بقية الكتاب ممن تتلمذوا عليه كالصاحب، ابن عباد ، أو قلده كالبديع والخوارزمي وغيرهم (٨) .

ودليلنا على ذلك ما جاء في رسائله وفصوله التي شملت مدرسة بديعية جديدة ، من أسلوب مطرز بالسجع الجديد ، والالوان البديعية الاخرى ، ومن ذلك قوله من رسالة وجهها الى ابن بلكا(٩) .

«.. وأنا مترجح بين طمع فيك ويأس منك ، واقبال عليك واعراض عنك » .

وان السجع في هذا العصر أكثر ما استقر في الانشاء الديواني ، فخلقت لاجله الرسائل الديوانية والادبية ، ولهذا نقول .. ان أهم مزايا الانشاء الادبي في ذلك العصر التزام السجع والبديع والتأنق في تحليته بالشعر والامثال، ولابن العميد اليد الطولى في هذه المدرسة التجديدية .

وقد أجمع النقاد القدامى .. من معاصريه وغير معاصريه على أن نثر ابن العميد صلة وصل بين عهد السجع المتأنق ، والعهد الذي سبقه(١٠) .

ولكن المحدثين من النقاد مختلفون في الحكم عليه ، فبعضهم جعل صنعته وأدبه ضربا من ضروب التسلية ، واظهار البراعة والغلو والبعد عن الحقيقة في التصوير والامعان في التدقيق(١١) ، وبعض آخر يرى غير ذلك ، وأنهم أمام عظمة عقلية تبدو كل كلمة من كلماته قلبا ، أو روحا تنبض بالحياة ، وليست الكتابة عند ابن العميد زخرفا للهو ، وانما الكتابة عنده ثورة عقلية ، أو وجدانية ، ولهذا قال مناصرو هذه الوجهة (ان ابن العميد في رقته وجزالته وغضبه وحنانه عبقري لا يعبث برجع الحديث المعاد ، وانما يجد بابداع الرأي الصائب والقول الرصين ١٢ .

رسائله الديوانية والادبية ومذهب التصنيع فيها :

واذا ما أردنا أن نمحص النظر في رسائله ، والتي هي في الحقيقة المدرسة التي علمت مذهبه وفنه التجديدي، ولهذا نقف أمام صور عدة لاسلوب رسائل ابن العميد وأهمها :

أولا : أن أبا الفضل في كتابته كان يسجع ، والذي يهمنا من هذا السجع مذهب الصنعة ، والجدير بالقول : انه على تصنعه يعتدل في ابرازه للسجع ، ولا يتقيد به دائما كمعاصريه ، وكأنه يعود الى ما مضى من العهد السابق وأساليبه كقوله في شهر رمضان(١٣) :

(اسأل الله أن يعرفني بركته ، ويلقيني الخير في باقي أيامه وختامه ، ويعجل نهضته وينقص مسافة ملكه ودائرته ، ويرد علي غرة شوال ، فهي أسنى الغرر عندي ،

وأقرها لعيني ، ويطلع بدره ، واستغفر الله جل وجهه بما قلت ، ان كرهه واسأله صفحا بفيضه ، وعفوا بوسعه ، انه يعلم خائفة العين وما تخفي الصدور) ٠

فابن العميد في هذه الرسالة يمزج السجع بغير السجع مزجا منصفا ٠

ثانيا : وان سجعه بصورة عامة فقصير الفقرات سريعا ، وهذه ميزة بين سجع ابن العميد وسجع أصحاب الدواوين من قبله ، وفي هذا التقصير يوازن بين اللفظة وقرينتها ٠ في العبارتين المتجاورتين ، وهذا ما نسميه بحسن الازدواج ٠٠ مع وشيه المختلف ، واذا ما وقفنا عند رسالة الى بعض اخوانه فاننا نراه في أول الرسالة يكثر من السجع ، ثم لا يلبث أن يقلع عنه ، ويمزج به غيره من أنواع البديع ٠ وفي هذه الرسالة يكثر من الطباق والاطناب مع شيء من الاستعارة والتشبيه ٠٠ وفيها يقول(١٤)

(أنا أشكو اليك ، جعلني الله فداك دهرا خؤونا غدورا ، وزمانه خدوعا غرورا ، لا يمنح الا ريث ماينتزع ولا يبقى فيما يهب الا ريث ما يرجع ، يبدو خيره ثم ينقطع ، ويحلو ماؤه جرعا ثم يمتنع) ٠

ويبقى ابن العميد على هذا الشكل الى حيث يقول :

« ما هذا التعالي بنفسك ، والتعالي على صديقك ، ولم نبذتني نبذ النواة وطرحتني طرح القذاة ، ولم تلفظني من فيك ؟ وتمجني من حلقك ، وأنا الحلال الحلو ، والبارد العذب وكيف لا تخطرني ببالك خطرة ، وتعيرني من أشغالك مرة ٠ ولعلك تتعجب من طمعي فيك وقد توليت ، واستمالتي لك وقد أبيت ، ولا عجب فقد يتفجر الصخر بالماء الزلال ، ويلين من هو أقسى منك قلبا فيعود الى الوصال » ٠

ثالثا : ثم انه يتكلف البديع أحيانا ، وما ذلك الا ليتمم صنعته في كتاباته كقوله(١٥) :

« وصل كتابك فصادفني قريب العهد بانطلاق ، من عنت الفراق ، وأوقفني مستريح الاعضاء والجوانح من جوى الاشتياق ، فان الدهر جرى على حكمه المألوف في تحويل الاحوال ، ومضى على رسمه المعروف في تبديل الاشكال » الى أن يقول : (وكشف عن عيني صبابات ماألقاه الهوى على بصري ، ورفع عنها غيا بات ما سد له الشك دون نظري ، حتى تحدر النقاب عن صفحات شيمك ، وسفر عن وجوه خليقتك ، فلم أجد الا منكرا ، ولم ألق الا مستكبرا فوليت منك فرارا ، وملئت رعبا ، فاذهب فقد ألقيت حبلك على غاربك ، ورددت اليك ذمم عهدك » ٠

والرسالة كلها تمضي على هذا النحو من السجع والعناية بالبديع وكأن أسلوبها ثروة زخرفية مصنعة ، فهو يعاني في كل لفظة ما يعانيه ذلك الكادح في عمله وكلفته فيه ٠ ولهذا تحولت صناعة الكتابة عند ابن العميد الى تطريز خالص ١٦ ٠

رابعا : ونشير الى ميزة رابعة في هذه الرسائل ، وهي التقارب في اشارته التاريخية واللغوية والعلمية ، ومع الاسف فان ما وصل اليناممن تقاربه يعد قليلا ، اذا قيس بالنسبة الى تقارب سواه ، ومن مثل ذلك رسالة بعث بها الى أبي العلاء السروري في شهر رمضان ونذكر منها ما يشير الى التاريخ في قوله ١٧

كتابي ٠٠ جعلني الله فداك ، وأنا في كد وتعب وقد فارقت شعبان ، وفي جهد ونصب ٠

وهناك رسالة تشير الى ذكر دعواه في العلم :

(وهبك أفلاطون نفسه فأين ما سنته من سياسة فقد قرأناه فلم نجد فيه ارشادا الى قطيعة صديق أما حسبك أرسطاطاليس بعينه ! ٠٠ وأما الهندسة فانها باحثة عن المقادير ، ولن يعرفها من يجهل مقدار نفسه ، وقدر الحق عليه وله ، وأما النحو فلن ترفع عن حذق فيه ، وبصر به، ولست بالعروضي ذي اللهجة فأعرف قدر حذقك فيه ، ألا أنني لا أراك تتعرض لكامل ولا وافر وليتك سبحت في بحر المجتث حتى تخرج منه الى شط المتقارب » ٠

خامسا :

ونجد أن ابن العميد في رسائله الديوانية يشعر بنفسه وحنكته في مخاطبة الملوك وسواهم (١٩) ٠

واليك هذا القسم من رسالته الى أبن بلكا عند استعصائه على ركن الدولة (٢٠) ٠

(تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي فستنكرها ، والمس جسدك ، وانظر هل يحس ؟ واحسس عرقك هل ينبض ؟ وفتش ما حنا عليك هل تجد في عرضك قلبك) وهل حلي بصدرك أن تظفر بفوت سريح ، وموت مريح ، ثم قس غائب أمرك بشاهده ، واخر شأنك بأوله) ٠

ومن خلال هذه الرسالة نجد مجموعة من الامور الانشائية أهمها عدم التقيد بالسجع ، وميله الى الاطناب ، وكذلك اللهجة الخطابية وقصر العبارة فيها ٠

سادسا :

ونجد هناك ميزة يعمد اليها في رسائله وهي اللطف في أداء المعنى والبراعة في اسلوب المقاصد كقوله في رسالته الى عضد الدولة :

(وقد يعد أهل المقاصد في أسباب انقراض العلوم وانقباض مددها ، وانتفاض مررها ، والاحوال الداعية

الى ارتفاع جل الموجود منها ، وعدم الزيادة فيها الطوفان بالنار والماء وليس عندي الخطب في جميع ذلك ما يولده.. تسلط ملك جاهل تطول مدته ، وتتسع قدرته ، فان البلاء به لا يعدله بلاء ، ويحسب عظم المحنة بمن هذه صفته ، والبلوى بمن هذه صورته ، كعظم النعمة في تملك سلطان عالم عادل » .

هذه صورة التصنيع عند ابن العميد ، وهذا مذهبه في الفن الادبي وكأنه يعلم أنه كلما طال الزمن ، مل الناس السجع ، وهو لذلك عمد الى السجع القصير الذي لا يأخذ من قارئه زمنا طويلا .

قرضه للشعر :

ولقد ذكرنا في مقدمة البحث أن ابن العميد كان يقارض الادباء .. اذ أنه ينتهز المناسبات ويطلب من تلامذته أو زائريه أن ينظموا شعرا ، فاذا سئل أحد الحاضرين عن قصته قال له :

أي جهد لقيته وشقاء شقيته

قال لهم قولوا على هذا الوزن .

وكثيرا ما كان يتخذ من الاطعمة والحلوى ، والكتب المؤلفة وسيلة للمقارضات الشعرية (٢١) كقوله لابن خلاد في بعض الاطعمة :

هل غير شتى حبوب قد تعاورها
جيش المهاريس أو نخر المناخير
رمت الحلاوة فيها ثم جئت بها
تحذي اللسان بطعم جد ممزوز

أوقعت للشعر في أوصافها شغلا
بين القصائد .تروى والاراجيز

وفي قوله لابن خلاّد أيضا :(٢٢)

فهمت كتابك في الاطعمة وما كان قولي أن أفهمه
فكم هاج من قرم ساكن وأوضح من شهوة مبهمة
وأرث في كبدي غلة من الجوع نيرانها مضرمة

وفي خاتمة المطاف لا بد لنا الا وأن نذكر شيئا يلبق بابن العميد ذلك الرجل الذي أعطى للادب فنا ، وأدبا وجمالا فقد كان صاحب مدرسة في السجع العذب داخل البديع ، وأعطى مجموعة من الرسائل الطريفة الادبية اللغوية الاجتماعية .

كما انه أعطى جمالا في هذا الذوق الادبي في رسائله أليس هو عاملا من عوامل النهضة الادبية والعلمية أيام بني بويه ؟! بلى .. كان ممدوحا وكاتبا ومعلما ومقارضا ومكاتبا، ولعله من أجل ذلك سمي باسم الجاحظ الثاني(٢٣) وشاء القدر أن يخرج ابن العميد في أواخر حياته على رأس جيش لقتال الزعيم الكردي (حسنوية) ولكنه توفي في الطريق في صفر عام ٣٦٠ هـ (٢٤) وقد نيّف على ستين سنة (٢٥) .

وفقد العصر ابن العميد ذلك المغرم باقتناء الكتب ، والشديد الحرص على مطالعتها (٢٦) ، وعين الشرق ، وأوحد العصر في الكتابة والضارب في الاداب بالسهام الفائزة (٢٧) .

حلب ـ أحمد دوغان

١ ـ تطور الاساليب النثرية في الادب العربي ص ٢٤٢ أنيس مقدسي
٢ ـ يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣
٣ ـ ص ١٢٨ ـ الادب في ظل بني بويه ـ محمود غناوي الزهيري
٤ ـ تجارب الامم ـ مسكويه
٥ ـ ص ٢٤٦ ـ تطور الاساليب النثرية ـ أنيس مقدسي
٦ ـ ص ٢٠٧ ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي ـ شوقي ضيف
٧ ـ تحت هذا العنوان كتب الاستاذ أنيس المقدسي فصلا كاملا في كتابه تطور الاساليب النثرية في الادب العربي من ص ٢٤٨ الى ص ٢٥٠
٨ ـ ص ٢٩٢ ـ الادب في ظل بني بويه
٩ ـ ج ٣ ص ١٠ ـ يتيمة الدهر للثعالبي .
١٠ ـ ص ٢٥١ تطور الاساليب النثرية / أنيس المقدسي
١١ ـ ص ٤٨ (ابن العميد) لخليل مردم بك
١٢ ـ ص ٢٠٢ النثر الفني في القرن الرابع
١٣ ـ ص ٢٤٤ ج ٢ زهر الاداب
١٤ ـ ص ٢٤٤ ج ٢ زهر الاداب
١٥ ـ ص ٢٣٤ ج ٣ زهر الاداب
١٦ ـ ص ٢١٠ ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي شوقي ضيف
١٧ ـ ص ٨ ج ٣ يتيمة الدهر
١٨ ـ ص ٢٣٧ ج ٣ زهر الاداب
١٩ ـ ص ٢٥٧ ـ تطور الاساليب النثرية .
٢٠ ـ ص ١٠ ج ٣ يتيمة الدهر
٢١ ـ ص ١٩٠ . الادب في ظل بني بويه لمحمود غناوي الزهيري
٢٢ ـ ص ١٤ ج ٣ يتيمة الدهر .
٢٣ ـ ص ٥٧ ج ٢ وفيات الاعيان لابن خلكان
٢٤ ـ ص ٢٤٤ المجلد الاول ـ دائرة المعارف الاسلامية
٢٥ ـ ص ٤٤٦ ج ٨ تاريخ بن الاثير (طبع أوربة)
٢٦ ـ ص ٢٤٥ تطور الاساليب النثرية
٢٧ ـ اليتيمة للثعالبي

زائرة الليل

قصة : ممدوح والي

١

للوهلة الاولى اعتقد حازم أن ارتجاج باب المنزل صادر عن الرياح الشديدة في الخارج ، ولكن حين تكرر هذا الارتجاج عدة مرات شعر بأن الطرق على الباب يشتد أكثر من الاول ٠٠٠ ولا بد أن هنالك شيئا ٠٠ ولكن من يأتيني في هذه الساعة المتأخرة من الليل ٠٠ وفي هذا الجو القارص الذي يجمد الاطراف ٠٠

٢

أصابته الدهشة وارتسمت على محياه علامات الذهول وهو يرى خلف الباب فتاة لا يتجاوز عمرها الخامسة والعشرين والدماء تنزف من يدها اليسرى بغزارة ٠

وسرعان ما دلفت الى الداخل دون أن تنتظر بقية سؤاله عما تريد في هذه الساعة المتأخرة من الليل ٠٠

كان الخوف والذهول مسيطرا على أعصابها مما جعلها تتعثر في طريقها وترتطم باحدى شجيرات الورد وتغوص قدمها اليمنى في الطين ، حين هم حازم باغلاق باب المنزل كانت سيارة النجدة تمر مسرعة من الشارع بصفيرها المخيف ٠٠

٣

كانت الفتاة منكمشة على نفسها كالقنفذ ، حين دخل حازم الغرفة ٠٠ لم يطل النظر فقد كانت الفتاة بحالة يرثى لها من التعب والخوف ، والدماء تنزف من يدها بغزارة ٠٠ ابتسم في وجهها وتوجه فورا الى المدفأة والقمها قطعتين من الخشب الكبير واكمل عمله بوضع ابريق الشاي ثم تناول من احدى الرفوف المثبتة بالحائط ـ ميكرويوم ـ وشاشا أبيض ٠

٤

حين جلسا أمام المدفأة ، كانت نظرات حازم مركزة على عيني الفتاة الخضراوين وشعر بقرارة نفسه بأن هاتين العينين تخفيان بداخلهما أشياء كثيرة ٠٠ سيارات النجدة المسرعة في الخارج ٠٠ اصابتها في يدها ٠٠ دخولها الى البيت في ساعة متأخرة من الليل ٠ أسئلة كثيرة تجول في نفسه ولا يجد لها جوابا ٠٠ لكن أنا متأكد بأن هاتين العينين الخضراوين لديهما الجواب على كل استفساراتي ٠٠

٥

كان الصوت المشحون بالخوف والترقب يخيم على أرجاء المكان ، الفتاة عيناها مركزة على نار المدفأة وكأنها تناست وجود رجل بجانبها وانها بمكان لا تعرف عنه شيئا ٠٠ والرجل ينظر الى عينيها وشفتيها بطرف خفي ويترقت الجواب بين لحظة وأخرى على أسئلته الحائرة ٠٠

لم يدم الصمت طويلا، فسرعان ما دوت سيارة النجدة بصفيرها المخيف وأعقب ذلك طلقات نارية من أسلحة سريعة الرمي ٠ وأصوات أقدام رجال وهي تركض ، وكانت لدى حازم رغبة قوية في الخروج لمشاهدة الذي يجري لكن الفتاة منعته من ذلك ٠٠

ـ لماذا ؟

ـ لئلا تصاب بطلقة طائشة ٠٠

ـ في الواقع لدي أسئلة كثيرة أريد طرحها عليك ولا أدري كيف أبدأ ٠٠

ـ أنا أعرف ماذا تريد أن تقول ٠٠ أنت تطلب تفسيرا للجرح الذي بيدي ٠٠ ودخولي بيتك في ساعة متأخرة من الليل ٠٠

ـ أنا لم أقصد ذلك ٠٠

ـ هذا من حقك ٠٠ الجرح الذي بيدي كان نتيجة شجار وقع مع أحد السكارى الذي حاول اغتصابي ٠

ـ اغتصابك ٠٠ ولكن كيف ذلك ؟

ـ كنت عائدة من عند احدى الصديقات عندما حاول رجل سكير التعرض لي ٠٠ والجرح الذي ضمدته سببه زجاجة كانت بيد الرجل ٠٠ لن أطلب منك شيء سوى المبيت هذه الليلة وغدا سأرحل ٠٠ هذا كل ماعندي ٠٠

٠٠٠ يالها من ليلة عجيبة ٠ فتاة تهرب من رجل حاول اغتصابها ٠٠سيارات النجدة تطوف الشوارع بصفيرها المخيف ، اطلاق نيران ٠أصوات أقدام رجال وهي تركض٠٠

٦

في صباح اليوم التالي خرج حازم الى السوق لشراء جريدة وفطور ٠ كانت الامور غير عادية ٠ الجنود المسلحون في جميع الزوايا والطرقات يفتشون السيارات والعربات المارة والاشخاص ـ سيارات الجيش على طول الشارع ٠ عمال التنظيفات ينظفون الجدران من بقايا أوراق مطبوعة تحت حراسة الجند ٠٠

حين حاول حازم الاقتراب منهم ليرى هذه الاوراق ٠ اعترض طريقه جندي يحمل رشاشا أمريكيا سريع الطلقات وطلب منه هويته ٠ لم يطل البحث فسرعان ما وجدها في احدى جيوب معطفه وناولها للجندي الذي أخذ يدقق النظر اليها ٠٠

ـ أين تعمل ياسيد حازم صادق ؟

ـ في بيتي ٠٠

ـ ما معنى بيتك ؟

ـ أعني ٠٠ رسم اللوحات ٠ فأنا فنان تشكيلي ٠

ـ حسنا ٠٠ أرجو أن تذهب الى بيتك سريعا ٠ فبعد ساعة من الان سيمنع التجول بالمدينة ٠

ـ هل هناك شيء خطير ٠٠

ـ لا يحق لي أن أتكلم ٠ ولكن نطارد جماعة من الارهابيين تثير الشغب والبلبلة ٠٠ قبضنا على عدد منهم وسنقبض قريبا على الجميع ٠ اطمئن ٠

ـ شكرا ٠٠ سأحاول أن أعود الى البيت حالا ٠

٠٠٠ لقد فهمت الان سبت اطلاق النار ودوي سيارات النجدة البارحة ٠ واعتقد أن الفتاة تعمل معهم٠٠ يجب أن أعود الى البيت سريعا لئلا يحدث لها مكروه ٠٠

٧

حين عاد حازم الى البيت توجه فورا الى مخدع الفتاة٠ لكن الدهشة أصابته ٠ ولم يدر ماذا يفعل ، لم تكن بالفراش ٠٠ ترى هل اعتقلها الجنود ؟ ولكن لو صح هذا الامر لوجد رجال الشرطة أمامه ٠٠ ترى الى أين ذهبت٠٠ الى أين ٠٠ كان يدور في أرجاء البيت كالمجنون لعله يجد أثرا يدل على وجودها ، وحين ذهب لاشعال المدفأة وقع نظره على رف المكتبة ، كان هنالك كتاب شعري لبابلوا نيرودا ـ وفوقه وردة حمراء ، حين قلب صفحات الكتاب وجد رسالة بخط الفتاة ٠٠٠

٨

في اليوم التالي استيقظ حازم على صوت ارتجاج باب المنزل ٠٠ فاعتقد للوهلة الاولى بأنها الفتاة ٠٠ لكن بدل الفتاة وجد أمامه الجنود بأسلحتهم السريعة ٠٠ وصوت قائدهم يأمر بتفتيش المنزل ٠٠ وسرعان ما جاء الجنود بالوردة الحمراء والكتاب الشعري ورسالة الفتاة ٠

حين قرأ الضابط الرسالة ٠ قال لحازم لقد أصبح بأيدينا الان دليل قاطع على تعاونك مع الارهابيين ٠٠

ممدوح والي

عمان ـ الاردن

عروة بن الورد

بقلم

ابراهيم صابور

مقدمة :

كنت أود أن أذكر في هذه الكلمة الاسباب التي دفعتني الى التفتيش في دفاتر القدماء وتقديم عروة لكنني رأيت أن ذلك ربما يدفعني قسرا الى تبريرات أنا بغنى عنها .. لكن ثمة دلالات عريضة أشبه بالرسالة التي يدل عليها عنوانها وهي نصرة عروة للمظلومين ، ومساعدته للفقراء، ومشاركته للمساكين ، ورفضه لكل قيم بمجتمعه القاسي .

وأود ـ للمناسبة ـ أن أشير الى أنني لم أعثر على النسخة المصرية من ديوان عروة ، وربما تكون هي أفضل النسخات ، ولكنني عثرت على ديوان له شرحه ابن السكيت واعتنى بتصحيحه الشيخ ابن أبي شنب الاستاذ بكلية الاداب بالجزائر ، فافادني كثيرا واعتمدت عليه في دراستي الى جانب طبعة صادر للديوان تحقيق الاستاذ كرم البستاني، وطبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي تحقيق الاستاذ عبد المعين الملوحي .

ولعلي وقعت في تكرار بعض القصائد من حيث الاستشهاد والاثبات ولا شك أن السبب في ذلك يعود الى قلة اثار الشاعر نسبيا ، فعذرا .

الاجواء التي عاش فيها الشاعر

الاثر الجغرافي

المسرح الجغرافي الذي عاش عليه الشعراء الصعاليك عبارة عن منطقة صحراوية جبلية عرفت الاغوار المنخفضة ذات الحرارة الشديدة ، والجبال العالية ذات القمم الثلجية، وبينها مناطق رملية مترامية الاطراف تتعذر الحياة في أرجائها نظرا للجدب القاتل ، واماكن خصبة تغري الناس بالاستقرار واقامة القرى ... هنا برد قارس وهنا حر حارق .. هنا أمطار تحتبس حتى يضرع الناس بصلوات الاستسقاء ، وهنا سيول تجرف كل ما تراه أمامها .. هنا فقر وعوز ، وهنا غلال وابل وثروات ... ويبقى بين كل هذه العوامل الانسان المخنوق في هذا التضارب الجغرافي البيئي الذي تكبله عقدة الفقر والجوع ، وأمامه الخيرات

والثروات ، هذا الانسان الذي يأبى الزراعة ويحتقر الصناعة ويؤمن بأن الرعي والتجارة والصيد والنهب هي وحدها الاعمال التي تليق بالرجال (١) هـذا الانسان الشجاع والمغامر العنيف كان لا بد له ليعيش أن ينتقي الاماكن الخيرة حيث الماء والزرع والماشية لتكون مغنماجيدا له ، وهكذا فقد كان يوجد شبه مخطط لمناطق غزوات الصعاليك منها اليمن ونجد والسراة والحجاز ويثرب التي قال التبريزي في ديوان الحماسة انها « منبت النخل » حلم عروة الذي يداعب مخيلته ويحقق اماله وامال فتيانه الذين خاطبهم :

فانكم لن تبلغوا كل همتي(٢)
ولا أربي٣ حتى تروا منبت الاثل(٤)

الحياة الاجتماعية :

الاسرة الكبيرة الحجم والتي سميت قبيلة هي الوحدة الاجتماعية التي عاشها المجتمع الجاهلي في البادية والحضر . في فيئها يعيشون وتحت حماها يغزون ويغنمون وفي المصائب سواء يتحملون ... يهبون دفعة واحدة لنصرة قريب أو مستجير ويتقاسمون الديات والغنائم سواسية كما يقسم سيدهم الذي لهم عليه أن يتحمل تبعاتهم ، وله عليهم أن يطيعوه فيما يأمرهم به ، وما يأمر هو نظام القبيلة واوامر حياتها الدائمة فان أخطأ أحد الافراد طرد وسمي « خليعا » واضطر أن يهاجر الى من يحميه فيعيش لديه أو أن يفر الى الصحراء حيث الفقر والوحدة ولا حيلة الا للقوي المعتمد على نفسه ، وقد يجتمع هؤلاء الخلعاء فيشكلون عصابات اغارة وقطع طرق .

ومما أثر في الحياة الاجتماعية الجاهلية تمايز طبقات مجتمع القبيلة الواحدة التي كانت تضم الصرحاء والعبيد والموالي » (٥) . الصرحاء هم النخبة وهم جامعوا الحسب والنسب والشرف من ابائهم وأمهاتهم ، وأما العبيد فمن قسمين عربي وهم أسرى من غزوات القبيلة لقبيلة أخرى، وغير عربي من غزواتهم للبلاد المجاورة للجزيرة العربية. وكان العبيد كثيرين في القبيلة نظرا لكثرة الغزو ، وللحاجة اليهم للعمل ، ولمجال التفاخر في الاسر الكثير خاصة اذا كان من أسر من السبايا مما يحط من شرف القبيلة التي غزيت وكانت قريش تتاجر بالرقيق وكأنهم صنف من السلع الاخرى واشراف العرب يباهون في الشراء والاقتناء وحتى أنهم يورثونه بعد الموت أو يعتقونه ، واما الموالي فهم بين الطبقتين « أحط منزلة من الحر وارفع من العبد» (٦) وبنكاح السيد من عبدته أحيانا يأتي « الهجين » المحتقر خاصة أن كان بلون أسود حيث يزيد التمييز الطبقي الى تمييز عنصري ، ويكثر البغض والحقد من الاطراف كلها ضد بعضها وتشكل من هؤلاء الهجناء المميزين وأولئك الخلطاء الشاذين فئة الصعاليك والزؤبان فئة الكافرين لكل عصبية قبلية أو عرقية ولم يكونوا قلة و « عدّ منهم بعض المؤلفين العرب في قبيلة هذيل وحدها أربعين صعلوكا كلهم من العدائين »(٧) .

الحياة الاقتصادية

منذ أقدم العصور والجزيرة العربية ممر لقوافل التجار الجنوبيين جعلوا من بلاد الشماليين طريقا لهم ثم ما لبث هؤلاء أن زاحموهم التجارة حتى اشتهرت كثير من الممرات والطرق للقوافل التجارية التي ربطت الشمال بالجنوب وكثير من الاسواق التي انتشرت على طول تلك الطرق ، وكان في تلك الاسواق كل ما يبتغيه الانسان حتى الحلي والحرير وكانت هذه الاسواق محمية ضد قطاع الطرق واللصوص ... وفي الاسواق تجارة وللتجارة رابح وخاسر ومضارب ومراب ، وللقوافل التجارية أدلاء وخفراء ومراسلين(٨) وهناك فئة رفضت حماية القوافل والعمل معها لتعمل ضدها وهي فئة الصعاليك والفقراء التي لا تملك درهما وتمر أمامها القوافل محملة بالغالي والنفيس والابل بالالاف بينما هي تقتل أولادها خشية املاق كما يحدثنا

---

١ ـ الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ص. ٧٤

٢ ـ الهمة : هي السلوك الى المحبوب

٣ ـ أربي : حاجتي ووردت أربتي في تحقيق ابن أبي شنب على الديوان

٤ ـ يروى منبت النخل : الاثل نوع من الطرفاء ومن خشبه تصنع القصاع وذكر الاصفهاني يريد بلاد بني القين .

٥ ـ الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلى ص ١٠٥

٦ ـ دفس المصدر ص ١٠٧

٧ ـ الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ص ٨٠ نقلا عن مخطوط فحولة الشعراء للاصمعي ورقة (٢٢)

٨ ـ الشعراء الصعاليك في العصر الجاهل ص ١٤٠

القرآن الكريم وهم لا عمل لهم لو أرادوا سوى لدى الاغنياء بالرعي وخدمة الابل أو يعينون نساء الحي كما يقول عروة بن الورد :

يعين نساء الحي ، ما يستعينه
ويمسي طليحا(١) كالبعير المحسر(٢)

الحياة العقلية (الشعر)

عرفنا من بحثنا السابق طبيعة تكون الصعاليك .. فهم اذا مروا عقليا بمرحلتين أو ثلاث :

آ – مرحلة ما قبل الصعلكة

ب – مرحلة الصعلكة

ج – مرحلة ما بعد الصعلكة والعودة الى حظيرة القبيلة عند البعض منهم .

ففي المرحلة الاولى كان يؤثر كل مؤثر في أدب العصر الجاهلي على اثارهم الادبية شأنهم في ذلك شأن شعراء القبيلة الجاهلية الاخرين ويظهر ذلك في شعرهم ، ومنهم من ظلت هذه الاثار معه حتى في فترة الصعلكة ، ومنهم من رافقته حتى عاد الى مرحلة القبيلة .. ومما لا شك فيه بأن طابع العصر الجاهلي الادبي قد طبع شعر الصعاليك بطابعه اللهم سوى ظواهر بسيطة طمستها الحياة الاجتماعية للصعلوك عن الظهور بالمظهر العادي للشعر الجاهلي كاطالة القصيدة والتسلسل في الدخول الى الغاية المنشودة وذلك من حياتهم القلقة وتشردهم الدائم من أجل لقمة العيش ، ولهذا نرى أن أشعارهم انما هي مقطوعات صغيرة أو قصائد قصيرة تتميز بوحدة الموضوع وواقعيته وسرده بشكل قصصي .

---

١ – الطليح : من طلح البعير اذا أعيا

٢ – المحسر : يقال جمل حسير وهو صفة للكسلان

١ – شرح ديوان عروة بن الورد العبسي (طبعة الجزائر) ص ٥

٢ – تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٢٢

٣ – شرح ديوان الحماسة ج ٢ ص ٣٥/٣٦

٤ – ذكر الاصفهاني انها وردت كذلك هرم

حياة الشاعر

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه

واسمه « عروة بن الورد » باتفاق جميع من كتبوا عنه . بضم العين وتسكين الراء في عروة وأما نسبه فبعضهم كان يجتزيء فيقول : « عروة بن الورد العبسي » (١) وبعضهم كان يزيد في نسبه فيذكر : عروة بن الورد بن زيد بن عبدالله بن ناشب بن سفيان بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض » (٢) أو يفصل فيذكر الاسماء كما في شرح التبريزي على حماسة ابي تمام « عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله ابن ناشب بن سفيان بن هرم بن عوف ابن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد » (٣)

ولعل أطولهم تعريفا بنسبه وأوثقه أبو الفرج الاصفهاني الذي يقول :

هو عروة بن الورد بن زيد ، وقيل ابن عمرو بن زيد، بن عبد الملك بن ناشب بن هريم (٤) بن لديم بن عوذ(٥) بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار » (٧)

وفي الحماسة « العروة للمردود والجوالق وغيرهما ، والعروة أيضا القطعة الجيدة من الكلأ (٧) .

وعرفت له كنيتان الاولى ويقال له « أبو نجدة » (٨) والثانية « أبو حمران » وقد كناه الاستاذ الشيخ ابن أبي شنب بالاسمين وأضاف انه من أهل نجد ومن شعراء الطبقة الثانية (٩)

ونخلص من القول بتصفية اسمه وكنيته الى أنه « عروة بن الورد العبسي » وهو أبو نجدة وأصله عربي

٥ – ذكر الاصفهاني أنها وردت كذلك عود

٦ – الاغاني ج ٣ ص ٧٣

٧ – شرح ديوان الحماسة ج ٢ ص ٣٤

٨ – المصدر نفسه ص ٣٦

٩ – شرح ديوان عروة طبعة الجزائر ص ٥

صميم ، وكان يلقب بمانع الضيم و« عروة الصعاليك» (١) كما ذكر الاصفهاني بقوله :

لحى الله(٢) صعلوكا اذا جن ليله
مصافي(٣) المشاش آلفا كل مجزر

وقال الاصمعي هو « شاعر من شعراء الجاهلية،وفارس من فرسانها ، وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الاجواد ، وكان يدعى عروة الصعاليك لجمعه اياهم وقيامه بأمرهم اذا اخفقوا في غزواتهم ولم يكن لهم معاش ولا مغزى » (٤) .

وذكر ابن قتيبة (٥) انه كان يلقب عروة الصعاليك لقوله :

لحى الله صعلوكا اذا جن ليله
مصافي المشاش ، آلفا كل مجذر

بعد الفنى من دهره كل ليلة
أصاب قراها من صديق ميسر

ينام عشاء ثم يصبح طاويا (٦)
يحث الحصى (٧) عن جنبه المتعفر

وكانوا ينادونه « أبا الصعاليك» (٨) أيضا .

ولادته ونشأته

أما مكان ولادته غير معروف وان ذكر أنه من أهل نجد فهذا لا يعني أنه ولد فيها وكذلك سنة ولادته فمجهولة ، لان الذين كتبوا عنه لم يتطرقوا الى هذه الناحية فكان عروة كغيره من الشعراء والادباء الذين أهملت سنة ولادتهم وربما يعود سبب ذلك الى أن زمن الولادة لم يكن ذا أهمية بالنسبة لمؤرخي حياة الادباء أو لان المؤرخين لم يدركوا قيمتها حسب مفهوم عصرهم ، وقد رجعت الى كل مصدر استطعت الحصول عليه فلم أجد أثرا يذكر عن تاريخ ومكان ولادة عروة .

ولئن حرمنا من معرفة ساعة ولادته فلن نحرم معرفة مشاعر أهله تجاهه ومشاعره تجاههم وذلك من قصصه وأخباره .

قال المستشرق كارل بروكلمان « وكان لابيه مقام محمود في حرب داحس ومن أجل ذلك مدحه عنترة (١) وروى صاحب الاغاني أن أباه هو الذي أوقع الحرب بين قبيلته عبس وبين فزارة بمراهنة حذيفة مما جعل القبيلة تتشائم به وان هذا الاب كان يؤثر الاخ الاكبر لعروة عليه مما يعطيه وكان يقربه (فقيل له أتؤثر الاكبر مع غناه عنك على الاصغر مع ضعفه ؟ قال : أترون هذا الاصغر لئن بقي مع ما أرى من شدة نفسه ليصيرن الاكبر عيالا عليه) (٢)

ويحدثنا عروة في شعره عن أمه فهي من نهد من قضاعة وهو ساخط على تلك الصلة التي جمعت أمه وأبيه ليهجو أخواله هجاء مرا ويصفهم بأنهم ثعالب في الحرب أسود في السلم .

ما بي من عار أخال علمته
سوى أن أخوالي اذا نسبوا نهد

اذا ما أردت المجد قصر مجدهم
فاعيا على أن يقاربني المجد

فياليتهم لم يضربوا في ضربة
واني عبد فيهم وأبي عبد

ثعالب في الحرب العوان فان تبخ(٣)

---

١ ـ الاغاني ج ٣ ص ٧٤
٢ ـ لحى الله : أي لعن وقبح وهي كلمة تستعمل في السب
٣ ـ رواها ابن السكيت مضى في المشاش : أي مضى له مؤثر اللاكل
٤ ـ الاصمعيات ص ٣٥
٥ ـ الشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٥٧
٦ ـ ذكر ابن السكيت انها رويت يصبح قاعدا « وكذلك يصبح ناعسا»
٧ ـ ذكر ابن السكيت انها رويت يحث الجفا وشرحها أي لا يبرح الحي .
٨ ـ الاغاني ج ٣ ص ٨١

١ ـ تاريخ الادب العربي لبروكلمان ج ١ ص ١٠٩
٢ ـ الاغاني ج ٣ ص ٨٨
٣ ـ تبخ الحرب ، تنطفيء شرح ابن السكيت

وتنفرج الجلى فانهم الاسد (٤)

ولكنه يفخر بأمه (٥) ويرد بقوله على من يعيره بها :

أعيرتموني أن أمي نزيعة (٦)
وهل ينجبن في القوم غير النزائع

وما طالب الاوتار الا ابن حرة
طويل نجاد السيف عاري الا شاجع(٧)

ومن هنا يبدأ الصراع في داخل عروة ... صراع طبقي وصراع نفسي ... أبوه شؤم لقبيلته وأمه – التي يفخر بها – ادنى مرتبة في الترابط القبلي من أبيه ... وهو كما مر معنا أدنى مرتبة من أخيه الاكبر .

ترى الا يسعى عروة لتحطيم هذه المراتب المزيفة التي عنكبت وكبرت حتى غطت المجتمع ... صورة الاخ الاكبر المدلل تجاه الاصغر المهمل تترافق مع صورة الثرى المتنعم الحاصل على كل ما يبتغيه الى جانب الفقير المحروم من لقمة العيش الضرورية ونتيجة لهذا الصراع فلا بد من حل ، وعروة يجد الحل الطبيعي وهو الثورة على مجتمعه وأبيه وأخواله بل ويزيد الى الثورة حلولا اقتصادية في بوادر الاشتراكية البدائية التي نادى هو بها ... نأخذ ممن يملك لنمنح لمن لا يملك .

اني امرؤ عافي(١) أنائي شركة
وأنت امرؤ عافي انائك واحد

أتهزأ مني أن سمنت وقد ترى
بجسمي (٢) مس الحق والحق جاهد

أقسم (٣) جسمي في جسوم كثيرة
واحسو قراح الماء والماء بارد (٤)

هذه الصورة الفريدة للمشاركة في معناها الانساني العميق هي التي تمنى من أجلها عبد الملك بن مروان لو يكون والده عروة بن الورد (٥) .

وكان من الطبيعي أن يكون لهذا الصوت صدى ، ولهذه الفلسفة اتباع ، ولهذه القيادة الثورية الرائدة رعايا يجمعهم أمر واحد « هو الرغبة في تبديل الواقع الاسود الرغبة في توزيع الثروات توزيعا عادلا جديدا ، الرغبة أن يكون الفقير ثائرا كيلا يكون متسولا (٦)

تنقله :

من التقسيم الجغرافي للجزيرة العربية وأثر البيئة الذي بحثناه سابقا نرى أن حياة عروة الصعلوكية تركزت في شمال الجزيرة العربية حول منطقة يثرب ، وأحيانا كانت تمتد الى منطقة نجد وأما سكناه فمع بني عبس الذين « كانت منازلهم فيما بين ابانين والنقرة وما وان والربذة » (١) أي في شرق المدينة المنورة وجنوب جبال طيء (٢) .

قلت لقوم في الكنيف تروحوا
عشية قلنا عندما وان رزح

ومن شعر عروة نستطيع انتوصل الى الاماكن التي كان يقود جماعته اليها للغزو أو للترصد من أجل السطو على الغنائم أينما وجدت في طول البلاد وعرضها .

---

٤ – **الديوان (طبعة الجزائر) ص ١٥٧**
٥ – **الديوان (طبعة الجزائر) ص ١٥٨**
٦ – نزيعة : غريبة وقد وردت تريعت في شعراء النصرانية ص٩١٤
٧ – الاشاجع جمع أشجع وهي عروق ظاهر الكف
١ – عافي : **طالب المعروف**
٢ – وردت في الحماسة بوجهي شحوب الحق وروى انها وردت بجسمي **شحوب الحق**

٣ – ذكر الاصفهاني انها وردت أفرق
٤ – الديوان طبعة الجزائر ص ١٣٨
٥ – الاغاني ج ٣ ص ٧٤
٦ – الديوان عروة ابن الورد طبعة دمشق التمهيد ص د
١ – شرح ديوان عروة طبعة الجزائر ص ٩٨
٢ – شرح ديوان عروة طبعة الجزائر ص ٥

لعل انطلاقي في البلاد ورحلتي
وشدى حيازيم(٣) المطية بالرحل
سيدفعني يوما الى رب هجمة
يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

فلقد جاب وادي الحجاز وأغار على أهل نجد وأهل الجبل :

فيوما على نجد وغارات أهلها
ويوما بأرض ذات شث وعرعر (٤)
يناقلن بالشمط الكرام أولي القوى
نقاب الحجاز في السريح الميسر

ويذكر أوس ببطولاته حيث تستلقي وعول الجبال في ذي الشلائل :

فالا انل أوسا فاني حسبها
بممبطح الادغال(٥)من ذي الشلائل(٦)

ومن كعروة يطوف البلاد لا يمنعه مانع حتى ولوكانت حليلته فهو يستأذنها دائما طلبا للغنى :

ذريني أطوف في البلاد لعلني
أخليك أو أغنيك عن سوء محضري
فان فاز سهم للمنية لم أكن
جزوعا وهب عن ذلك من متأخر

أو :

دعيني أطوف في البلاد لعلني
أفيد غنى فيه لذي الحمق محمل

وفاته :

ولم يكن عروة ممن يتهيب الموت أبدا ٠٠ وهل من ثائر يخشى المنية ؟ الموت مطلب أن لم يصل الثائر الىمبتغاه وكذلك بالنسبة لعروة فهو اما أن يحقق نجاح غزوته واما أن يموت وهذا ما ينتظر ، أو يخفق ــ ولا بأس ــ ما دام يحاول ويعمل ٠

فسر في بلاد الله والتمس الغنى
تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

أو :

فان نحن لم نملك دفاعا بحادث
تلم به الايام ، فالموت أجمل

أو كقوله في وصف حياته وحياة كل صعلوك :

فان بعدوا لا يأمنون اقترابه
تشوف أهل الغائب المنتظر
فذلك أن يلق المنية يلقها
حميدا وان يستغن يوما فأجدر

ولم يذكر ابن السكيت ولا الاصفهاني تاريخا لوفاة عروة ولم يتحدثا عن طريقة وفاته ولقد أشار الاب لويس شيخو اليسوعي(١) أن « وفاة عروة بن الورد كانت قبل الهجرة بقليل نحو سنة ٦١٦ ميلادية « وجاء في تحقيقوشرح ديوان عروة للاستاذ كرم البستاني أنه « يقال أن عروة مات مقتولا قتله رجل من بني طهية في سنة ٦١٦ ميلادية (٣) أما الشيخ ابن أبي شنب فيحدد لوفاته سنة ٥٩٦ ميلادية أي « قبل الاسلام بست وعشرين سنة » (٣) ٠

شخصيته :

اذا عدنا الى مجموعة قصائد عروة والى أخباره التي أوردها صاحب الاغاني نستشف من خلالها شخصيته ،نرى بوضوح وبلا عناء انه الممثل الشرعي والقائد اللامعلطائفة الصعاليك متمثلا الثورة على المجتمع ، والعزةوالاباءورفض الضيم والذل ، مطالبا بالحرية في تحديد علاقة الصعاليك بمجتمعهم ما دام هذا المجتمع يريد أن يفرض عليهم عبوديته ، شجاعا مقدما على الموت الذي هو أعذب من الشهد وأحلى ، كريم النفس واليد في مساعدة المرضى والشيوخ ٠

روى الاصفهاني « ويقال أن عبد الملك قال » من زعم أن جاتما أسمح الناس ، فقد ظلم عروة بن الورد (٤) وذلك لانه هو القائل مخاطبا حليلته ٠

---

٣ ــ الحيازيم : جمع حيزوم وهو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر

٤ ــ شث وعرعر : نباتان في الصحراء

٥ ــ الادغال : يقول الاصفهاني انها وردت الاوعال

٦ ــ ذي الشلائل : حيث تستلقي وعول الجبال

١ ــ شعراء النصرانية ج٦ ص ٩١٦

٢ ــ تحقيق وشرح ديوان عروة بن الورد طبعة بيروت

٣ ــ شرح ديوان عروة بن الورد طبعة الجزائر ص ٦

٤ ــ الاغاني ج ٣ ص ٧٤

اذا قلت : قد جاء الغنى حال دونه
أبو صبية يشكو المفاقد اعجف

وهو رافع شعار
فراشي فراش الضيف والبيت بيته
ولم يلهني عنه غزال مقنع
أحدثه أن الحديث من القرى
وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

فهو القائد ذو العقل الحصيف والتفكير المنطقي السليم الذي سبق به عصره في رده على من كان يقول بأن « من دخل خيبر فحبا ونهق عشر مرات لم تضره الحمى » وعروة لم تخدعه الخرافة ، وقد سماها ولوعا من دين اليهود »(٣)
وقالوا :

أحب وأنهق لا تضيرك خيبر
وذلك من دين اليهود ولوع
لعمري لئن عشرت من خشية الردى
نهاق الحمير انني لجزوع
فلا والت تلك النفوس ولا أتت
على روضة الاجداد وهي جميع

وهو النبيل الذي يريد في المرأة شريكا له على الحياة لا يلمس الا من كانت زوجة له ويغض بصره أن الوت الرياح ببيت جارته حتى يستتر .

وان جارتي الوت رياح ببيتها
تغافلت حتى يستر البيت جانبه

وهو الاب الذي يتحمل الكثير من أجل اتباعه الذين اذا جاءوا أتوه « فجلسوا أمام بيته فلما أبصروا به صرخوا وقالوا : يا أبا الصعاليك أغثنا ، فرق لهم وخرج ليغزو بهم ويصيب معاشا » (٤) ، لا ليأكل الكثير ويطعمهم القليل .. لا ليأخذ ما يريد ويمنحهم ما يريد ، بل ليتقاسم واياهم بالحق .. يروى من أخباره أنه غنم ابلا وامرأة وأراد أن يبقي لديه المرأة وحصة كحصتهم « فقالوا : لا واللات والعزى لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيبا فمن شاء أخذها ، فجعل يهم بأن يحمل عليهم فيقتلهم وينتزع الابل منهم ، ثم يذكر أنهم صنيعته وانه ان فعل ذلك أفسد ما كان يصنع فافكر طويلا ثم أجابهم الى أن يرد عليهم الابل الا راحلة يحمل عليها المرأة حتى يلحق بأهله فأبوا ذلك عليه ، حتى انتدب رجل منهم فجعل له راحلة من نصيبه».

فهو يدرك بأنه ان لم يقسم حقا لابتعد عنه اتباعه ، وانه كان أنانيا لعلوه وكرهوه فهو يؤثر أن يحرم نفسه في سبيل انتشار مبادئه ويبقى قائدا قدوة يضحي من أجلهم لانه المسؤول عنهم .. ربان السفينة التي يجب أن تقاد الى مرافيء الغنى والابل والمال بالصبر والنظر الثاقب وان احتج الاصحاب أصر على أن « هذه اثار من يرد الماء فاكمنوا فاحر أن يكون قد جاءكم رزق» (١)

وجاءهم الرزق بعد أن رمى عروة حارس الابل الوارد الى الماء .. وسيأتيهم الرزق حتما طالما أن على رأسهم قائد شجاع مقدام ينشد :

اذا قيل : يابن الورد أقدم الى الوغى
أجبت فلا قاني كمي(٢) مقارع
بكفي من المأثور (٣) كالملح لونه
حديث باخلاص الذكورة قاطع
فاتركه بالقاع رهنا ببلدة
تعاوره فيها الضباع الخوامع (٤)

ومن أجل كل هذا أحبه معاوية اذ روى الاصفهاني « بلغني أن معاوية (٥) قال : لو كان لعروة بن الورد ولد لاحببت أن أتزوج اليهم »(٦) .

ولكي تكتمل الصورة فلا بد من ذكر المثالب ، وشرب الخمر من أكبر معايب عروة ، علما بأنه كان شبه ظاهرة عامة في البيئة الجاهلية ، وهذا طبعا لا يبرر له أن يستوهب امرأة من كنانة لبني النضير الذين أعجبوا بها فسقوه الخمر ووهبها لهم ، ولما أصبح وصحا ندم ، وقال : سقوني الخمر ثم تكتفوني (٧)

وليس أدل على شخصية عروة من رأى من عاشت معه عمرا وأنجبت له أبناء ذلك كلام أم وهب زوجته بعد أن خيرت فاختارت أهلها بعد أن احتالت الذهاب اليهم واقبلت عليه تودعه « يا عروة أما اني أقول فيك وان فارقتك الحق: والله ما أعلم امرأة من العرب القت سترها على بعل خير منك وأغض طرفا وأقل فحشا وأجود يدا وأحمى لحقيقة » (٨)

للبحث صلة

---

٣ ـ الاغاني ج ٣ ص ٨١ ـ ٨٢

٥ ـ الاغاني ج ٣ ص ٧٩ ـ ٨٠

١ ـ ديوان عروة طبعة الجزائر ص ١٠٣

٢ ـ الكمى : لابس السلاح او الشجاع

٣ ـ المأثور : السيف في متنه اثر واخلاص

٤ ـ خمعت الضبع : ضلعت أي مشت كان بها عرجا

٥ ـ ذكر الاصفهاني انها وردت ابن معاوية

٦ ـ الاغاني ج٣ ص ٧٣

٧ ـ الاغاني ج ٣ ص ٧٥

٨ ـ الاغاني ج ٣ ص ٧٦

ولادة

قصة بقلم : منذر العياشي

استيقظ صباحا ، كالعادة ، وأخذ يستعد للذهاب الى العمل . فجأة توقف فيه كل شيء ، أو بالاحرى تحرك فيه بسرعة هائلة ، حتى بدا واقفا كالجماد . لقد بلغت الازمة حدها الاعظم : انه الفيضان الكبير الذي تخافه الزروع .

ظن بنفسه الظنون . ما العمل ؟ هذا الحشد الهائل من الاحياء والاشياء يستغرق حسه كله ، ويبتلع ذكرياته ! ما العمل ؟ عليه أن يستخلص من هذه الجمهرة العارمة بعض حسه ، وبعض ذاكرته ، والا فكيف يعيش !! ولكن هل يستطيع ذلك ؟ ان السرعة الهائلة ، سرعة العصر ، التي يعيشها ، سحقت كل شيء فيه ، وجعلت منه مخلوقا بلا معالم ، شيئا يتحرك ولا ارادة له في التحرك . كل مافيه يركض ، سريعا ... سريعا ، ويتزايد مسجلا أرقاما لا تحصى ، ويتضخم ، حتى يكاد يفقد وجهه الحقيقي البسيط .

انه متأكد من ألمه . والدليل انه يرى جسمه يتلوى كالافعى فوق الفراش . أما آن له أن يحس الالم ، فيعود ذاته وانسانه المسروق ، انسانه المباع لارباب الحضارة والانتاج ؟ لماذا لا يحس ألمه ؟ ان جسمه يتصبب عرقا ، ولا بد أنه محموم .

أمسك بميزان الحرارة ، ونظر اليه مليا :

ـ هيا .. قس حرارتي ، أنت أدق من احساسي « أنا » بجسمي ! أنت حس الجمهرة ، حس الكثرة .

« ٤٠ » درجة .

أعاد ميزان الحرارة الى فمه ثانية .

« ٤٥ » !

ـ غير معقول !

« ٥٠ » !

وأعاده الى فمه .

ـ آه .. غير معقول !!

« ٧٠ » ! « ٨٠ » ! « ١٠٠ » !!

ـ انني في درجة الغليان (رفع صوته عاليا) أني أفور .. لحمي ينسلق .. النجدة !

رفع كفه الى جبينه يتلمسه . انه لا يحس شيئا . وتمنى أن يستعيد حسه . انه يعي ما معنى كلمة « أحس» ، ولكنه لم يعد يستطيع في هذا الزحام الخانق ، أن يعيش احساساته ولا أن يتذكرها فيفتح لها في روحه منفذا تدخل منه .

سأل نفسه :

ـ ألست غريبا عن هذه البلاد ؟ ألم آت من بلاد أخرى ؟ أين « أنا » القديم ؟ كيف يحس الناس في بلادي ؟

ان هذه الكلمة لم تعد بالنسبة اليه أكثر من مفهوم يدرك معناه فحسب ، أما أن يحياها ، أما أن تحيا فيه ، فهذا شيء ليس في مستطاعه . نظر حوله ، فرأى الاشياء

تسبح في وحدة تامة ، ولا سبيل لها أن تخرج عن صمتها ٠

ـ أية قيمة للصمت ؟ هذا كرسي ٠٠ هذه طاولة ٠٠ آه ما أشد تعاستي ! هذاكرسي ٠٠ هذه طاولة ٠٠

الصمت لا يعطي للاشياء حرارة معانيها ٠ لقد حاول جهده أن يحس ماحوله ، وأن يجعل الاشياء تعيش في حسه ، ولكن دون جدوى ٠ الا أنه أدرك أن في عزلة الاشياء صورة لعزلة الانسان ، وان احتشدت هذه الاشياء وكثرت كما هي عليه في الحضارة ٠

ـ الحمى ٠٠ لقد دمرت الحمى ذاكرتي وبلدت حسي سأنتظر حتى تزول عني ٠ سأنتظر فهي لا بد زائلة ٠

فكر ، بالذاكرة المدمرة وبالحس المبلد ، تفكيرا اضطره الى تحمل عذاب عظيم ٠ عذاب يدركه عبر صور خيالية يؤلفها بشق النفس دون أن تستغرق فيها مشاعره فيحس بها ألما ٠

نظر الى ميزان الحرارة في اشفاق ٠ أحس بالخوف ٠ انه يحس الخوف احساسا ماديا ٠ الخوف يسري في جسمه انه خائف ٠ وبانت على فمه ابتسامة بلهاء :

ـ سأموت ٠

تعاظم خوفه ، فسره ذلك :

ـ سأموت هنا في هذه الغرفة ، ولن يراني أحد ٠

قف شعر بدنه لهذا القول ، وأحس بالموت ، احساس مختنق في ظل من يحموم فغمرت الغبطة قلبه ٠

ـ سيأكلني الدود ٠

ملأت الدموع عينيه ، على حين هز الفرح أوصاله ٠

ـ وتفوح من جسمي رائحة عفنة كريهة ٠

اضطرب اضطرابا شديدا ، فلم يتمالك من أن يأخذ الهاتف :

ـ ألو ! دكتور ؟ اسمعني من فضلك ٠ درجة حرارتي بلغت المائة !

ـ ماذا ؟!

ـ نعم ٠ اني أفور !

ـ أنت مجنون !

قطع الكلام ٠ رمى سماعة الهاتف في موضعها ٠

ـ ماذا قال الطبيب ؟ آ آ ٠٠٠ اني أذكر ٠ لقد عادت الي ذاكرتي ٠ قال : أنت مجنون ! اني مجنون ٠ آه ، ألا أستطيع أن أضيف كلمة أخرى الى هذه الكلمة ؟ لنقل : مجنون حر ! فليقل الطبيب ما يشاء ٠ على الاقل لست الآن فوق الطريق التي تقود آلاف الالوف من البشر نحو آلات صماء ٠

ترك المجنون الحر نفسه على بداهتها ، منطلقا في ضحك هستيري ٠ ثم انتصب في وسط الغرفة ، وراح يتحرك بعنف : حرك يديه ، رجليه ، رأسه ، عينيه ، كل شيء فيه ٠ انه هو الذي يحرك ٠٠ وكل شيء فيه يتحرك حتى أدق مسامة في جسمه ٠ وفجأة أحس بارهاق يجتاحه ، فاسترخى فوق سريره خائر القوى ٠

كان ضوء الشمس ينفذ عبر شق في رداء النافـــذة فينير مساحة فوق الجدار لا تتجاوز حجم كف اليد ٠ وفي هذه المساحة الضيقة المغمورة بالنور ، وقفت حشرة سوداء وكأنها تستلهم النهار لتباين وجودها عن جو الغرفة المعتم ٠

نظر الى هذه الحشرة متأملا عجبا ، وفي رأسه تدور شتى الفكر ٠ وظل ينظر اليها حتى أحس أن شيئا يتسرب اليه ، ويدخل الى أعماقه ٠ انه شعور الحشرة بالوحدة ٠ شعور يرفض العزلة في الصمت ، والعيش بلا ضوء ٠

أجال عينيه في أطراف الغرفة الراقدة ، بحثا عن حشرة اخرى فلم يجد ٠ هم بفتح النافذة ليترك السبيل لدخول حشرات أخرى تبدد وحدته ، الا أن قواه الخائرة حالت دون ذلك ٠ وما أن أعـاد النظر الى الحشرة حتى فغر فمـه من الدهشة ، واخذه الذهول فلبث جامدا لا حراك فيه ٠

رآها تتقلص وتتمدد دون أن تغادر المساحة المضاءة ٠ ثم رآها تضطرب وتختلج فتهتز كلها اهتزازا تعود بعده الى تقلصها وتمددها ، وكأنما تعتصر شيئا في داخلها ٠٠٠ شيئا تريد اخراجه ٠

اشتدت حساسيته الى درجة أدرك فيها الاتحاد مـع الحشرة ٠ وهاهوذا يحاكيها في حركتها ، وها هو جسمه يتألم ٠ عيناه لا تفارقانها ٠ وبوعي منه بدأ يئن ويتأوه ٠٠ أغمي عليه بعدها لعدة ثوان ٠

انه المخاض ٠ لقد قطع حبل الصمت ٠ وصرخ بعنف صرخة « ما خلقكم وما بعثكم الا كنفس واحدة » ٠

من مؤخرة الحشرة ، خرجت حشرة أخرى ، تلمع تحت ضوء الشمس في المساحة الصغيرة ، مغطاة بمادة مخاطية مطاطة ٠٠ بمادة دبقة تحول بينها وبين السقوط الى الارض

تمتم بصوت متعب فيه كثير من الحنان :

ـ لقد ولدت ٠٠ لقد ولدت « أنا » ٠٠ ولدت نفسي ٠ انني أنا ٠ سأبول على الحضارة ٠٠ سأبول على التكاثر الكاذب ٠٠ لن أبذل جهدا كي يسرق ٠٠ المستقبل لي ٠٠ تحيا الثورة ٠٠

أغمض عينيه ، وشعور بالحرية يحمل روحه نحو آفاق جميلة ٠

أكس آن بروفانس ـ فرنسا

منذر العياشي



تأليف : ابراهيم العبسي

نقد : أمينة العدواني

الشخصيات في مجموعة المطر الرمادي تأليف ابراهيم العبسي ، تمضي الوقت راكضة ، هاربة مطاردة بصورة الوطن ـ الوطن الذي فقد والذي هو مأوى وانسانوذاكره والذي تحول الى سوط وعصا تجلد ، وشبح يطارد ـ وأيد تلوح وقبضات تهدد وشتائم تصفع « تركض الشخصية هاربة من اللعنة التي تلاحقها لرحيلها عن الوطن حيث الخطيئة هي الرحيل ، وحيث السقوط هو التشردوالتسكع في المدن ، تركض الشخصية هاربة من الوطن الذي يلاحقها بينما أقدامها تتعثر على الارصفة في المدن الاخرى » تجد الشخصيات الواعية أن لا مكان ولا جذور لها في المدينة ـ المدن بديل زائف عن الوطن « **المدينة هي المقاهي والارصفة ولعب الشدة وتكرار** الاخبار المملة في الجريدة ـ المدينة أرصفة وحوانيت ومقاهي وليست بيتا ولا مأوى » تخلو القصص من بيت تلتجيء اليه الشخصية بعد الرحيل عن الوطن « لا وطن لا مكان » كما تجد الشخصيات انها غير متكيفة أو متلائمة مع الواقع ـ سواء اكان هو هذا الواقع هو الواقع الذي يتجسد في المدينة التي يسيطر عليها الجهل والخوف والفقر والكراهية والخلافات والطمأنينة الهاربة الزائفة « مدن متفرقة متنافرة تفرق في عتمة سوداء وتتنفس الخوف والجوع « قضية حب » « المدينة أمامي تنام نوما عميقا » « المطر الرمادي » « المدينة غارقة في الظلمة » « مشهد ليلي فوق خشبة مسرح صيني ـ أم كان في الاخرين حيث العلاقات المبتورة مع الاخرين لتفاهة وخواء الحياة التي يحياها الاخرون « الناس لا مبالين لاهين يقتلون الوقت بالثرثرة والتسلية ـ أم في علاقات القمع » لغة الاخرينهي لغة الامر والتهديد والعنف « كانت المدن اللاهية تنكرني ويبصق في وجهي شرطييها ـ تلاحق بحقيقة تلاحقها وتمتهنها ـ حقيقة تحول وتغير الشخصية ، لتحول الشخصية من مواطن الى لاجيء ـ « تفقد الشخصية بفقد الوطن حريتها حيث كل شيء مسموح به ومستباح ـ الوطن سجن وغابة محاط بلصوص وقطاع طرق ووحوش يحاصرون ويفتكون به ـ الانسان مستباح لا يملك أي حق أو واجب تفقد الشخصيات ملامحها الفارقة المميزة ـ حين يتضاعف شعور الشخصيات بالذنب لرحيلها عن الوطن وتسكعها وتشردها في المدن وعدم تكيفها مع الواقع بحيث تتحول الشخصية الى مسخ ـ الى حيوان حبيس يطلق أصوات غير مفهومة في « قضية حب » والى الهذيان في قصة الطريق والى العزلة والتقوقع وتعذيب وتحقير الذات والشعور بالروتين في قصته « الصيف البارد » و « بقعة ضوء » .

تتغير الشخصيات حين ـ لا تملك الا أن ترضخ لواقع خاطيء ولا عادل تجسد مأساة ومعاناة الشخصيات المدن قبور مظلمة المدن صحراء تؤكد أن الواقع أكذوبة ـ المدن ضياع وتشرد ـ أرصفة ومقاهي ـ الوطن غرف واسعة مضيئة ومأوى وبيت وشجرة « الوطن أصبح في ذاكرة الشخصية في الماضي ولم يعد يعيش فيه في الحاضر» ـ المناخ ـ المطر والريح التي تهرب منهم الشخصية وكان معادلا لدمارها ـ الطقس برد ، جفاف ، حر خانق « والاشياء والحيوان بديل عن العدو » تزدحم القصص بالوحوش والغيلان والغرباء والشياطين الاسطورية التي تحاصر وتفتك بالشخصية .

ينقد وينكل الشخصية التي تحس انها ملعونة ينقذها من اللعنة والموت والتشويه وعقد تعذيب وتحقير الذات أصوات الشخصيات التي هي حلول التي تقدمها لتجاوز الدمار الذي يلحق بها « أصوات الرجل المسن ، الشيخ « الشيخ » التراث التاريخي ، جذور الشخصية التاريخية

في الوطن « أصوات تدعو الشخصية لان تتجاوز الواقع بأن تتخذ موقفا وتتحمل المسؤولية ـ مسؤولية تكرس انتماءها الى الوطن أو ضرورة الكفاح للعودة الى الوطن » حين تكبر يا صاح عليك أن تخرج للعيد ـ يا الهي ماذا انتظر ـ لقد أصبحت رجلا «المطر الرمادي» كمايعبر في الطريق، انه طريق التضحية والنضال هو الطريق الصحيح الذي يجب أن تسير فيه الشخصية حيث هو طريق العودة الى الوطن وأن كل السبل الاخرى ليست سوى أكذوبة وسراب وما فائدة الرحيل اذا كنت لا تعرف ماذا تعمل لبقعة ضوء » « عد الى الطريق» كما يقدم المواقف التي كان يجب أن يتخذها الناس أمام الخطر الذي يحدق بالمدينة وبين المواقف التي اتخذتها والتي أدت الى غرق المدينة بالطوفان « الجري في الزمن المطر » يصور المواقف الغبية الجاهلة أمام الطوفان الذي يهدد باغراق المدينة خطر الاستيطان الصهيوني . مجموعات الناس التي تتخذ مواقف لاهية عن خطر العدو ـ تفتعل الهرب ـ وتعلن العجز عن اتخاذ أي موقف أو قرار ـ فئة تكتفي بالمشاهدة ـ ماذا باستطاعتنا أن نفعل ؟ . ـ فئة تتخذ موقفا أنانيا « الانانية والتمسك بالحياة » فليحترق الوطن » فئة لاهية لا مبالية ـ البحث عن بديل في مكان اخر ، باستطاعتنا أن نقيم بيوتا ومقاهي وشوارع أحدث منها ؟ . وأصحاب المواقف ترفض أن تستمع الى حكايات الرجل المعمر ، الرجل المعمر هو التاريخ العربي الاسلامي وحكايات تؤكد أن هذه الامة مرت بغزاة ونكبات واستطاعت أن تناضل وتكافح وأن تطردهم ـ كما يؤكد على التراث المليء بالعبر ـ والتاريخ العربي مليء بالتضحيات والبطولات والعبر التي يجب أن يقتدى بها في كيف تواجه وتقتلع العدو أو الخطر ، ترفض المدينة حكايا الرجل المعمر وتستبدلها بحكايا مصلية ـ حكايا فيها مغامرات كما ترفض النبوءة ـ سترحل المدينة اذا لم تحتضن حكاياتي ، ترحل المدينة ـ يغرقها الطوفان ـ تصبح في قبضة العدو كما يصور في قصته ومقاومة السكان للاستيطان الصهيوني مقاومة تؤدي الى تعذيب وتشريد وابعاد السكان عن وطنهم قدم المؤلف في هذه القصص تاريخ القضية الفلسطينية من خلال حياة أفراد الهجرة ، ترك الوطن نتيجة الارهاب والرعب ـ فقد الوطن والاهل نتيجة أن الوطن كان اداة في يد الدول الكبرى تتلاعب بمصيره كما تريد المسرحية التي أعدتها الدول الكبرى وأخرجت بنجاح بين دهشة واستنكار المتفرجين « المواطنين » وأدت الى مقتل الام « الوطن » بمشهد ليلي فوق خشبة مسرح صيني التجأ السكان الى مدن أخرى ـ تحويلهم الى لاجئين « أحضرنا لك العون وعلاجات ومعلبات وأغذية وبطاطين وبطاقة مؤن ـ يعلقون على صدورهم شارة الامم المتحدة ـ الامل هنا في الجيل الذي نجا من هذا المصير من هذا الموت » الطفلين الذين هربا من الباب في مشهد ليلي فوق خشبة مسرح صيني .

استخدم الصور المتتالية المتقطعة « المونتاج » في قضية حب ـ مزج اللوحات مع المشاهد المسرحية في مشهد ليلي فوق خشبة المسرح حين سرد المونولوج والعودة الى الماضي في قصته الطريق كثرت الاعترافات والتفسيرات الخارجية في هذه القصة ، ما أضعف الشخصية بدلا من الايحاء ، التكييف عن طريق الحدث والشخصية ـ كما أن التعبير والكلام المباشر في قضية حب ، أكلت فتات الامم تتنافى مع الرموز والمجاز التي استخدم لكي يصور الواقع في قضية حب وان كان الهدف هو اعطاء خصومية للقضية الانسانية المواجهة وهي خصوصية القضية الفلسطينية ، استخدم المونولوج في المطر الرمادي ، والرصيف البارد الجري في الزمن المطر ـ استخدام الشكل التقليدي ، حكاية لها بداية ووسط ونهاية في قصته فبعد ، كان يمكن تسخير الحوار في هذه القصة بحجج وأدلة تاريخية تؤكد شرعية وجود السكان في وطنهم وشرعية مقاومتهم للمحتل

استحضر المؤلف البيئة والشخصية المحلية ـ وبرع في تصوير ردود فعل الشخصيات العفوية البدائية كما برع في تصوير لغتها العامية المحلية وفي تصوير حركاتها وعباراتها وملامحها وقد برع في تكييف حركتها وردود فعلها أمام المصائب التي حلت بها في جمل قصيرة جدا ، الحركة الهيستيرية في الطريق حين فقد الوطن الذي هو الام والمرأة الجميلة حلمه والارض الخضراء في قصة حب ، الهذيان ـ التشويق الذي لحق بالشخصية في قضية حب ـ كما برع في تصوير الحركة ، كما برع في تصوير الافعال المكررة المترادفة الرتيبة للشخصية المطاردة التي تستمر وتتكرر بدون أن تحدد موقفا من الواقع ـ كما برع في تصوير الصراع الذي تجد الشخصية ، أما أن تتخذ موقف أو تصلب أو تحرق أو تتوفى ، استخدم الصور المجازية والجمل الخبرية القصيرة لتصوير البيئة والشخصية والحرب ولتصوير الواقع ، تحمل صور لهجة قاسية ، صورة حادة واضحة ، مباشرة ، تحمل صورة انسان يرفض أن يصبح مسحورا من شرور واقعة ويرفض أن يتحول الى انسان من حجر .

الخلاصة :

قدم المؤلف في هذه المجموعة الجواب عن السؤال التالي: لماذا أصبح الانسان الفلسطيني مطالبا بالنضال لاسترداد الوطن .

أول أيار الذي لا أنسى

بقلم ريم تشون تشو

كان الاحتفال بيو مالاول من أيار ١٩٤٠ يجري بصحبة الرفيق كيم وايل سونغ على مقربة من تشي تشانغ تزو في مقاطعة انتو في الشمال الشرقي من الصين على الحدود الكورية ·

ولقد احتفلنا بيوم الاول من أيار – يوم عيد الطبقة العاملة في العالم أجمع – خلال كفاحنا المسلح الذي استمر أكثر من عشر سنوات بدون رحمة ولا هوادة ، وقد تم الاحتفال أحيانا بمأدبة على طريقة الانصار ، وفي جميع الاحوال فانه لم يصدف قط أن كنا جياعا في ذلك اليوم ·

وكم من أول أيار مضى وانتقل في ذاكرتي الى حيز النسيان ، ولكن يوم الاول من أيار تلك السنة سوف يبقى منقوشا في ذاكرتي الى الابد ، ذلك لان الاول من أيار هذا قد سجل تفوقا شاقا على الاعداء صعبا ، وقد كان الملح مقننا والماء والحبوب غير متوفر لدينا ·

أخرج الرفيق دجي بون صون من جعبته نصف(كون) من الذرة (الكون تساوي ثلاثماية غراما في النظام الميتري) وكان يحتفظ بها كوجبة أخيرة للطوارىء لا يأكلها الا عند الضرورة الملحة وسلقها على البخار ضمن قطعة يابانية لكي تنتفخ ، الا أن انتفاخها بلغ حدا وتوقف بالرغم مما أغدق عليها من الماء وأجزل عليها من البخار ، وحصل في النتيجة على ما ملأ بالكاد كوباً واحدا من الذرة المسلوقة ، وطلب الرفيق دجي يونغ صون من الرفيق كيم ايل صونغ أن يكون البادىء بالاكل ·

وتوازع الانصار قليلا من الذرة فيما بينهم ، ولكن الرفيق كيم ايل صونغ أبا وأصر على رفض الاكل بقوله : وزعوه على المرضى من الرفاق ، فأنا بخير ·

وكان بين المرضى الرفيق كيم هونغ صو الملقب بـ (المتزوج وهو لا يزال طفلا) وكان رفاقه يجاكرونه لانه قد تزوج وهو لا يزال في سن الرابعة عشرة في جبل **بعيد في مقاطعة نشانغ باى ،** وكان هناك خمسة آخرون من الانصار الشبان مرضى · وكان تأثرهم عميقا لما لمسوه من عناية الرفيق القائد بهم · ورفضوا بشدة عرض الرفيق كيم ايل سونغ وأصروا على أن يأكل هو تلك الذرة·

غير أنهم كانوا بوضع لا يسمح لهم بعدم اطاعة أمر الرفيق كيم ايل سونغ ، وأكل الرفيق كيم هونغ صو والمرضى الخمسة الاخرون معا كوب الذرة المسلوقة وعادوا الى أسرتهم ·

و لعلهم كانوا قد أمضوا أياما على الطوى وأنهكهم الجوع بالاضافة الى المرض ، فأفادت فيهم الذرة فوزا ولكن كان هنالك شيء آخر أكثر أهمية مما أكلوه من الذرة ذلك الذي لمسوه من عطف أبوي حار من الرفيق القائد كيم ايل سونغ ، وهو الذي شجعهم وبالتالي ساعد في شفائهم ·

وكانت طائرات استطلاع الامبريالية اليابانية تحوم حول المكان كل يوم تقريبا في محاولة لتحديد مواقع قوات الانصار ، وكانت القوات البرية قد ركزت حولنا وأحاطتنا بشريط تلو الشريط ، وقد لاقينا بسبب ذلك الحصار صعوبات كثيرة ·

وقد يبدو في نظر الناس عموما ان متابعة المهمات طوال أيام عديدة في مثل هذه الظروف الصعبة دون تناول أي طعام وانعدام المؤونة من أي نوع واستحالة الامداد أمر لا يمكن تصوره وادراكه . غير أن البعض من الشباب الرفاق كانوا يقولون : « كم كنا نود أن يتوفر لنا أكسير يمكننا من العيش بدون طعام » . وبالرغم من غنانا بمثل هذه الحلول فقد كنا لا نجد لعلاج معجزة من هذا القبيل أثرا . فكان تأمين الحد الادنى الضروري من الغذاء مطلبا ملحا .

وقد قررنا في ذلك اليوم أن نذهب الى ساقية مجاورة لنلتقط الضفادع ، وكنا في مكان منعزل في منطقة جبلية تكسوها أحراج قديمة ، ولم يكن ثلج الشتاء قد ذاب بعد، ولم تكن الضفادع قد كبرت وترعرت ، ولكننا بذلنا جهدا وتمكنا من التقاط خمسين أو ستين كيلو غراما من الضفادع .

ويروى ان الضفادع تعتبر في البلدان طعاما فاخرا اذا ما أعدت بطريقة جيدة ، الا أن المواد المطلوبة الداخلة في تحضيرها لم تكن متوفرة لدينا ، ناهيك عن ان طباخينا لم يكونوا معتادين على اعداد هذا النوع من الطعام .

فتوجهنا الى النار مباشرة وجمعنا كل ما كنا قد غنمناه من اليابانيين من قصعات . وسكب الماء في تلك القصعات وفي كل منها خمس أو ست ضفادع وبدأنا بسلقها . وتعلقت بطوننا الجائعة برائحة الضفادع الشهية وهي تسلق فوق النار ، ولم نكن قد تناولنا أي طعام منذ بضعة أيام وسرعان ما أصبح الطعام جاهزا ، وأكلنا وجبتنا الفاخرة وشبعنا .

وفي المساء ، أشعل الانصار نار الفرحة ، وتجمعوا في مكان معين وانضم اليهم الرفيق كيم ايل سونغ وتحدث اليهم ، ومما قاله لهم : (... ان بلادنا كوريا تمتد على ثلاثة الاف ري ـ الري يساوي ٣٩٢٧ م في النظام الميتري ـ وهي في الحقيقة بلاد الانهار والجبال بل انها مجموعة من اللوحات الفاتنة . جبالنا جميلة وأنهارنا نقية صافية ، فلا حاجة لتعقيم الماء حيثما كان . والارض خصبة تعطي غلالا وفيرة ، ويملك شعبنا واردات طبيعية تفوق حدود حاجته ، وبذلك فاننا نستطيع أن نعيش جميعا عيشا رغيدا : وتوجد على طول الشواطىء الشرقية والغربية حاصلات بحرية لا تنضب ، وذلك كله بالاضافة الى المعادن الوفيرة في كل مكان ، من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس أو فحم . ولكن الامبرياليين اليابانيين قد سلبوا شعبنا كل هذه الخيرات وحرموه منها .

ومعجنات (معكرونة) بيونغ يانغ الشهيرة والبطاطا الحلوة وسمك الخريف من نهر داي دونغ ، والارز المثلج ، وما أبدع الـ مارابونغ والـ مانجي يونغداي ـ اننا لنحتفظ لهذا كله بذكرى متأججة جدا . لقد جردنا الامبرياليون اليابانيون من هذه الموارد جميعا كما حرمونا من جميع تلك الاماكن البديعة ذات الجمال الخلاب . ولكننا بفضل كفاحنا البطولي سوف نحل محل طبق الضفادع الذي أكلناه اليوم طبق سمك داي دونغ في المستقبل القريب العاجل وهذا واقع لا يمكن التشكك فيه .

اننا نعاني الان من الجوع ، والعدو يحاصرنا وينكد علينا كل يوم ويرهقنا بهجماته المتكررة باستمرار ، ولكن هؤلاء الاشقياء الفجار الفساق لن يستطيعوا منعنا من العبور . اننا لا نتردد أبدا . ان طريقا عريضا يفتح أمامنا ونحن نتقدم عليه بقوة وعزيمة ، ولسنا وحدنا ، فالطبقة العاملة في أرجاء العالم كله تدعمنا في مسيرنا وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي العظيم وخاصة الشعب الكوري نفسه ونحن نضم عزيمتنا الى عزائمهم .

ان عددا محدودا جدا من الغادرين من جماعتنا قد استسلموا للعدو واتفقوا معه ، فأصبحوا بذلك مرتدين جاحدين كفرة . فعندما عجزوا عن التغلب فورا على مشاكلهم هدروا فعاليات ثورية لا تقدر بثمن وكانوا قد اندفعوا فيها وباشروها طوال أكثر من عشر سنوات . ان تلك العناصر المملوءة جبنا وخسة جماعة بائسة . فكم يمكن أن يمتد عمر الانسان ؟ ـ ما يقارب الستين سنة على الاكثر ، أليس كذلك ؟ ولكن مثل هؤلاء الجبناء غير قادرين على أن يعيشوا هذه الحياة القصيرة بنظافة فيخونون شعبهم باذلال ضمائرهم مقابل مكاسب فورية ، انهم أناس يرثى لهم ويستحقون الشفقة . لقد كان لشعبنا منذ أقدم العصور ـ ببساطته العظيمة ـ شرف العيش وهو منسجم مع ضميره حتى عندما لا يكون هنالك مجال للعيش سوى يوم واحد ، وبعبارة أخرى فان ضميرنا انعكاس لضميرنا الوطني المطالب بتحرير وطننا . وهو يحرض فينا روح نضال لا تقهر في سبيل تحرير الطبقة العمالية اجتماعيا ، انه يعطينا شجاعتنا وقوتنا المعنوية اللتين لا تتراجعان أمام أي شيء ، ويعطينا صمودنا الذي يمكننا من التغلب على الصعاب جميعا ويعطينا بطولتنا كما يعطينا كذلك الكثير من الفضائل الاخرى . ونحن نسمي ذلك ـ الضمير الثوري ـ فعلينا أن نحمي هذا الضمير ، الضمير الخاص بالكوريين الحقيقيين وعلينا أن ندافع بدمنا عن بلاد أسلافنا الجميلة .

لقد كان أسلافنا في الازمنة الغابرة يتحدون ويهبون

بوثبة واحدة في كل مرة يجتاح باغ معتد أرض بلادنا الجميلة ، وكانوا يصدونه ويردونه على أعقابه ببسالة ، فلنكافح كما فعلوا ، بعزيمة لا مثيل لها في سبيل طرد الامبرياليين اليابانيين وتحرير وطننا بشعور حار بعزتنا القومية ...) .

وأشعل حماس الانصار ذلك الخطاب المقتضب الذي ألقاه الرفيق كيم وايل سونغ الذي راح ينشد لنا نشيد « موران بونغ » وقال لنا بانه أحب ان ينشده منذ أن كان طفلا صغيرا .

وانطلقنا بحضور الرفيق كيم ايل سونغ في مناقشة حامية استمرت طوال الليل ، وكنا نتحدث حول نماذج عن وحدة الطبقة الكادحة الدولية ونروي قصصا عن وطننا الام . ودعم هذا النقاش قناعة لدينا بأن علينا أن نعيش حياة مفيدة . وكان مما تطرقنا اليه من المواضيع حقيقة ان العمال والفلاحين قد نجحوا خلال المئة سنة المنقضية منذ تأسيس الماركسية في تحمل السلطة وفي اقامة الاشتراكية في العالم السادس بأكمله ، وبمساعدتهم وبدعمهم فقد تطورت الطبقة العاملة في الارجاء الاربع من العالم وتطور الكفاح من أجل التحرير الوطني ، بينما كانت الرأسمالية آخذة طريقها بخطى سريعة نحو الدمار والخراب وهي تجابه أزمة ما برحت أن أصبحت عامة شاملة .

حتى ان رفيقا روى قصصا عن الجينيرال اول دجي مون دوك والجينيرال كانغ كام تشان والاميرال ري‌سون‌سين وعن آخرين من الاسلاف ، وتكلم كذلك عن ثقافة سيللا التي كانت فيما مضى زهرة في صدر الثقافة الشرقية تزينها .

ولقد تأثرنا أيضا بأحاديث رفيق آخر اذ أتى على ذكر ما ورثناه من ثقافة لا تقدر بثمن ـ أحرف الطباعة النحاسية، مرصد في تشوم تسوك كداى، المركبات الهجومية الطائرة ، السفن السلحفاة المدرعة ، وتحدث عن الادب الكوري ـ كل ذلك كان قد تألق طويلا في تاريخ الثقافة الانسانية ، وتحدثنا كذلك عن جبل كوم كانكغ الشهير وعن أمواج بحر الشرق الصافية والمناخ المعتدل وعن السماء الصافية في بلادنا صباحا وعن الينابيع الساخنة وعن المياه المعدنية وعن منظر البحار البديع وقد تناثرت فيها الجزر هنا وهناك .

لقد كان لشعبنا ـ وهو يعيش في حديقة أزهار جميلة ـ تقاليد ثقافية ، الا أنه يعاني الان من بلية كبيرة ومصيبة عظيمة ، فلقد فقد قوميته بجريمة اللصوص الامبرياليين اليابانيين ، لقد هجر أناس أرضهم الغالية وافترق آباء وأمهات ونساء وأطفال واخوان وأخوات لوقت طويل ، لقد كانوا يتابعون النضال باصرار وتصميم ، فعلينا أن نكون قبضة هذه الفكرة ، وعلى حرابنا ان تنبىء عن حقدنا على العدو .

وكنا كلما امتد بنا الحديث عن الماضي تدعمت ارادتنا في محاربة العدو وابادته . وعدنا بالذاكرة الى الارض التي يرقد فيها أسلافنا والى العديد من ذكريات أيام طفولتنا السعيدة والى حزن لا يوصف ألم بنا ونحن نعبر نهري امروك ودومان وتذكرنا التيه والتسول بعد أن تركنا بلادنا الغالية بسبب الامبريالية اليابانية ، وكذلك عدنا بالذاكرة الى القرار الجازم بعدم العودة قط الى الوطن الام ما لم نكن قد سحقنا أولئك اللصوص الامبرياليين اليابانيين .

كنا نفكر في تلك الساعة بالذات من ذلك اليوم أن اباءنا وأمهاتنا وأخواتنا وهم جميعا مواطنون صالحون مجتهدون صلب ، يمرون بأوقات صعبة وهم يخضعون لسوء معاملة الامبرياليين اليابانيين ولاستغلال لا يعرفان الرحمة ، كنا نفكر بهم وهم ينتظرون ذ ماالعون الاخوي . وقد ملأحديث الضمير قلوبنا من جديد بعزيمة علىمحاربة العدوالامبريالي الياباني وابادته . وقد دعم ذلك تصميمنا على المضي قدما لتحية ذلك الحدث العظيم الذي هو لا محال واقع. هكذاكان استعدادنا الثابت المستمر على الدوام .

لذلك فان الاول من أيار عام ١٩٤٠ يوم لا يمكن أن ننساه لا رفاقي ولا أنا : لقد أفاد ما أكلناه من الضفادع في وليمتنا وأثبت أنه ألذ من كثير من الاطعمة الفاخرة الراقية . والاهم من ذلك أيضا هو أننا احتفلنا بالاول من أيار في هدوء وسعادة مع الرفيق كيم ايل سونغ ، وهو يحدثنا عن الوطن كما يحدثنا عن الدور الهام الذي لعبته أرواحنا ، فكيف يمكننا أن ننسى ذلك الاول من أيار أبدا؟

وعدنا بعد التحرير يوم ١٥ آب مظفرين الى بيونغ يانغ ، فاشترينا المعجنات (معكرونة) من بيونغ يانغ والبطاطا الحلوة وسمكا تم صيده من نهر داي دونغ وجميع ما كان الرفيق كيم ايل سونغ قد تحدث عنه بذلك القدر من الفخار والاعتزاز . وفيما كنا نأكل تلك المأكولات تذكرنا أيامنا العذبة الغابرة .

وكما بينت لكم ، لقد عرفنا ، في تلك الفترة المحفوفة بالصعوبات نادرة المثيل من أيام الكفاح المسلح ضد اليابانيين ، كيف ندعم في أنفسنا ايمانا قويا لا يتزعزع وقد ساعدنا على ذلك ما كان يحمله الرفيق كيم ايل سونغ من تفاؤل ثوري وساعدنا الهامه وتشجيعه .

على مسرح الحياة

حقائق جديدة عن النظام الشمسي والكون

بقلم

ممدوح زكي

أجمل ما يمكن أن يقال عن علم الفلك ، هو أنه علم يحمل الانسان على التواضع • فقد ساد قديما الاعتقاد بأن الكرة الارضية هي مركز الكون، وكان هذا الاعتقاد متأصلا تأصلا عميقا ، واعتبر أي رأي اخر يعارضه ضربا من ضروب الزندقة يستحق صاحبها عقابا بلا رحمة •• ولا شك في أن هذا هو السبب الذي جعل « كوبرنيكسوس » ـ العالم والرياضي البولندي في القرن السادس عشر ـ يخاف المجاهرة برأيه بعد أن أيقن أن الارض ليست سوى كوكب يدور حول الشمس ، خشية الاضطهاد • ولم ينشر كتابه الذي يثبت هذه الحقيقة بدلائل رياضية قاطعة الا بعد وفاته • ولما جاهر » جاليليو » ، العالم والفلكي الايطالي بهذا الرأي نفسه ، بعد « كوبرنيكوس » بقليل ، سيق الى محاكم التفتيش بتهمة البدعة والضلال • وبمرور الايام أثبت العلم صحة هذا الرأي بصورة لا يتطرق اليها الشك • ومنذ ذلك الحين تقلصت أهمية الانسان في الكون، فلم يعد ذلك الناطق الجبار الذي يسيطر على الكون ، باعتبار أنه يسيطر على الارض التي هي ـ بحسب الاعتقاد القديم ـ مركز الكون !

السنة الضوئية :

مع تقدم الدراسات الفلكية تضاءلت قدرة الانسان شيئا فشيئا بالنسبة الى الكون ، اذ ثبت أن الكون أوسع مما تتصوره أبعد الادمغة خيالا ، وأن المسافات التي تفصل بين النظام الشمسي برمته ، والنجوم ، شاسعة الى الحد الذي لا يمكن فيه قياس هذه المسافات بمقاييس الابعاد العادية ، فاضطر الفلكيون الى وضع مقياس جديد ـ أي « السنة الضوئية » ، وهي المسافة اتي يقطعها الضوء في العام الواحد • وبهذا المقياس يصل ضوء الشمس الينا بعد حوالي سبع دقائق ، بينما لا يصل ضوء أقرب النجوم الينا الا بعد مضي خمسة أعوام • وقد يستغرق وصول الضوء المنبعث من نجوم أو مجرات بعيدة أكثر من ٥٠ ألف عام •

وبهذا بدت الارض أكثر فأكثر كأنها مجرد حبة رمل في الكون العظيم الذي يقف العقل مبهوتا أمامه • وراح العلماء ، خلال القرون الاخيرة ، يطرحون نظريات عديدة حول النظام الشمسي وكيفية نشوئه ، وعلى ضوء هذه النظريات أطلق بعض الروائيين العنان لمخيلاتهم ، فافترضوا وجود أحياء أذكياء في كواكب أخرى من النظام الشمسي •

ولم تكن لدى الفلكيين وقتئذ الوسائل التي تمكنهم من دعم هذه الافتراضات أو دحضها غير أن عصر الفضاء الذي نعيشه الان قد وضع في أيدي الفلكيين وسائل جديدة لم تكن تخطر حتى على بال الروائيين أصحاب الخيال الواسع قبل جيل أو جيلين ، منها مثلا التلسكوبات الموجودة في سفن الفضاء •

أثر السفن الفضائية في رصد الكواكب :

ان وجود الغلاف الجوي حول الارض يحول دون رصد الكواكب بوضوح تام ، مهما كان حجم التلسكوب المستعمل كبيرا ، وحدة عدسته ثاقبة • ولذلك لا يمكن أن يعول على الطيف الضوئي الوارد من النجوم والكواكب لمعرفة ما فيها من عناصر ، لان الغازات الموجودة في الغلاف الجوي تشوه الطيف •

ولما كان الضوء ينتج عن توهج المعادن فان الطيف الضوئي ، أي الضوء المحلل الى عناصره الاساسية ، يظهر أنواع المعادن المنتجة لذلك الضوء • ويمكن التعرف على

هذه المعادن أو العناصر بالخطوط التي تخترق الطيف عرضا في أماكن معينة ثابتة . ولما كانت التلسكوبات الموجودة في السفن الفضائية ترصد الكواكب من خلال الفضاء الذي يكاد يكون خاليا من الغازات ، فانها تقدم ، بالطبع ، معلومات أدق وأوضح من التلسكوبات الارضية عن العناصر التي يتكون منها الكوكب .

وتسير في الفضاء اليوم ٧٥ سفينة فضائية في اتجاهات مختلفة ، مرسلة صورا تخلب الالباب بدقتها وتفاصيلها . وقد التقطت احدى هذه السفن صورا للكوكب عطارد يبلغ حجمها خمسة الاف ضعف حجم الصورة الضوئية الملتقطة بأقوى التلسكوبات الارضية . وفي وسع عدد من هذه السفن الفضائية القيام أيضا بدراسة الطيف الضوئي الناتج من تحليل ضوء الكوكب قيد الدراسة ، وأن ترسل تفاصيل ذلك التحليل الى الارض . واستفاد الفلكيون كذلك من أجهزة الرادار المحسنة التي سلطوها على الكواكب التي وقع اختيارهم عليها ، فجمعوا بهذه الوسيلة التقنية حقائق جديدة غير أن جل اعتمادهم في هذا الشأن ما زال على السفن الفضائية .

وفي أواخر عام ١٩٤٧ ، أرسلت السفينة الفضائية الامريكية « بايونير ١١ » صورا للكوكب المشتري التقطتها من مسافة تبعد عنه بمقدار ٢٦ ألف ميل ، أي بنحو عشر المسافة التي تفصل بيننا وبين القمر ، وهي تنطلق بسرعة ١٠٧ الاف ميل في الساعة . وقد تبدو مسافة ٦ ألف ميل بعيدة بالمقاييس الارضية ، ولكننا اذا تذكرنا أن المشتري يبعد عن الشمس بنحو ٤٨٣ مليون ميل ، أي أكثر من خمسة أضعاف المسافة التي تفصل بيننا وبين الشمس ، وجدنا في الواقع أن « بايونير ١١ » قد أبلت بلاء حسنا ، وهي تمر بتلك السرعة المذهلة بين المشتري والاقمار الدائرة حوله .

وتتجه « بايونير ١١ » في الوقت الحاضر نحو الكوكب زحل ، رغم أنها تنطلق عبر أجواز الفضاء بسرعة فلكية ، فانه ليس من المنتظر لها أن تصل الى زحل ، أو بالاحرى الى الاجواء المحيطة به الا في عام ١٩٧٩ ، أي بعد حوالي ثلاث سنوات من الان

معلومات جديدة عن المشتري :

فما هي المعلومات الجديدة التي طلعت بها علينا السفينة « بايونير ١١ » حول المشتري ؟

المعروف أن النظام الشمسي يضم (بالاضافة الى كوكبنا الارضي ، والمريخ ، والزهرة) أربعة كواكب ضخمة ، وهي على التوالي : المشتري ، وزحل ، وأورانوس ونبتون . وهذه الكواكب الاربعة الدائرة في مدارات بعيدة عن الشمس تضم معا القسم الاعظم من كتل المادة التي يحوزها النظام الشمسي . والمشتري هو أضخم هذه الكواكب الاربعة ، ويضم بحد ذاته نحو ثلثي مجموع المواد الموجودة في النظام الشمسي . وهذا ما دعا أحد الفلكيين وهو يوضح هذه الحقيقة أن يقول :

« ان النظام الشمسي يتألف من الشمس والمشتري ، وقطع أخرى متناثرة ! » .

أجل ان المشتري كوكب ضخم ، غير أن ثقله النوعي منخفض نسبيا بالرغم من أن حجمه يزيد على حجم الارض بأحد عشر ضعفا ، ومرد ذلك الى أن معظم العناصر الداخلة في تركيبه هي عناصر خفيفة الوزن مثل الهيدروجين والهليوم . والواقع أن تركيبه المادي شبيه الى حد كبير بالتركيب المادي للنجوم الثواقب التي تشع بأضوائها النيرة .

والرأي السائد بين علماء الفلك الان هو أن طبيعة الكواكب الداخلة في النظام الشمسي لم يطرأ عليها تغيير يذكر منذ أن تكون هذا النظام ، وعليه فان المشتري يتكون من حيث الاساس من سائل ساخن قد يطوى في مركزه لبا صلبا صغيرا ، ولهذا فانه يشع مقدارا من الحرارة يفوق المقدار الذي يستمده من الشمس .

أما الظاهرة البارزة المثيرة في المشتري فتكمن في البقعة الحمراء التي تمكن رؤيتها بالتلسكوب العادي . ويبلغ طول هذه البقعة حوالي ٣٠ ألف ميل ، أي أنها أطول من محيط الارض بنحو خمسة الاف ميل . ويبدو من الدراسات الفضائية الجارية الان أن هذه البقعة سببها عاصفة هوجاء تهب في غلاف المشتري الجوي ، ولما كان الفلكيون قد لاحظوا هذه البقعة بالذات منذ ما قبل ثلاثمائة عام ، فلا بد من أن تكون تلك العاصفة قائمة منذ قرون .

بيد أن الامر الذي أثار العلماء بصورة خاصة هو أن تحليل الطيف الضوئي الذي أرسلته السفينة الفضائية « بايونير ١١ » ، يثبت بشكل لا يتطرق اليه الشك وجود غاز الاوكسجين في غلافه الجوي ، وهذه الظاهرة مثيرة حقا ، اذ تجعل وجود الاحياء على أرض المشتري أمرا ممكنا . غير أن طبيعة هذه الكائنات الحية ، لو فرضنا وجودها ، ليست معروفة ، ومع ذلك لا بد لها ، ان وجدت ، من أن تختلف اختلافا كليا عن الكائنات الحية التي نعرفها على وجه الارض ، نظرا الى خصائص المشتري .

وقد قال أحد الفلكيين في هذا السياق : « في الواقع أننا لا نعلم حتى الان شيئا كثيرا عن حقيقة الحياة التي قد تكون موجودة على المشتري وربما كانت تلك الحياة

ذات مظاهر تختلف اختلافا كليا عن تلك الموجودة على وجه الارض • غير أن وجود الاوكسجين على سطح المشتري من شأنه أن يقرب الاحتمال بوجود كائنات حية على سطحه وهي في الارجح كائنات حية من طراز آخر » •

طبيعة الكواكب الاخرى :

ومهما كان من أمر المشتري وما قد يطويه من حقائق ما زالت غامضة ، فان الامر الذي حير الفلكيين أكثر من ذلك هو طبيعة الكواكب القريبة من الشمس ، وبخاصة طبيعة « الزهرة » ، اذ أن رصد هذا الكوكب كان متعذرا جدا حتى الان بسبب غلافه السميك الكثافة • ويبدو من الدراسات الفضائية التي أجريت بواسطة السفن الفضائية أن الغلاف الجوي للزهرة يتألف من ثاني أكسيد الكربون (الفحم) بنسبة ٩٧ في المائة وأن الضغط الجوي على سطح هذا الكوكب يفوق الضغط الجوي على الارض بمقدار ٩٥ ضعفا ولما كان من طبيعة ثاني أكسيد الكربون حجز الحرارة ، فان درجة الحرارة على سطح الزهرة هي ٤٠٠ درجة مئوية ثابتة لا تتغير سواء في الليل أو النهار • وفيما عدا ذلك فانه كوكب يشبه الارض من نواح عديدة • فقطرة مماثل لقطر الارض ، وكثافته قريبة أيضا من كثافة الارض ، ويقول الفلكيون ان وضعه الحالي يشبه وضع الارض قبل ثلاثة الاف مليون عام ، أي قبل أن تظهر على الارض الحياة النباتية البدائية ، عندما تحول ثاني أكسيد الكربون في ذلك العهد السحيق الى مواد سكرية ونشوية راحت بدورها تطلق الاوكسجين في الجو •

هل يمكن تحويل الزهرة الى كوكب قابل للاستيطان ؟

على ضوء الحقائق الانفة اقترح البرفسور « كير ساجان» ، المتخصص في دراسة الامكانيات الحياتية في الكواكب الاخرى ، خطة ترمي الى احداث تغيير جذري في الغلاف الجوي للكوكب الزهرة • بحيث يتطور ويصبح قابلا للاستيطان • ويقترح البرفسور « ساجان » اطلاق نوع من الطحالب في جو الزهرة بحيث تتولى هذه النباتات البدائية عملية تحويل ثاني أكسيد الكربون الى مواد نشوية وسكرية تطلق بدورها الاوكسجين في الجو • فاذا استهلكت هذه النباتات ثاني أكسيد الكربون ، انخفضت الحرارة على سطح الكوكب بالتدريج الى أن يصبح لائقا للاقامة عليه •

غير أن مثل هذه العملية تستلزم مقادير مذهلة من الطحالب ، كما لا يخفى ، بشكل يفوق ما يتصوره العقل أو يستطيع أن يتصوره • فهل من حيلة في تحقيق ذلك ؟

يرى البرفسور « ساجان » أن الطحالب التي ستطلق كدفعة أولى الى جو الزهرة ستصمد وتظل على قيد الحياة ، وبالتالي ستتكاثر وتتوالد تلقائيا ، تماما مثلما حصل على وجه الارض في أول الامر ويرى كذلك أن جزءا من الاوكسجين الذي ستولده هذه النباتات سيتحول الى «أوزون» ليحمي القاطنين على الزهرة من الاحتراق بالاشعة فوق البنفسجية ، كما هي الحال على وجه الارض •

ولكن الحياة ، على النحو الذي نعرفها به نحن ، تتوقف على توفر الماء ، وليس ثمة من دليل على وجود الماء على الزهرة • وفي هذا يقول البرفسور « ساجان » ان الماء الذي في الزهرة يتحول بسرعة الى غازي الاوكسجين والهيدروجين بفعل الاشعة فوق البنفسجية الحادة على سطحه ثم ان وجود سحب حامض البريتيك على هيئة غاز في جو الزهرة يدل على وجود الماء فيه •

أثر وجود البراكين وعدم وجودها :

لم يشاهد أحد من الفلكيين حتى الان وجود أي أثر لبركان ما على وجه الزهرة ، ومع ذلك بينت الدراسات الرادارية وجود أماكن ناتئة على سطحه ، الامر الذي يدل على أن هذا الكوكب قد تغير منذ أن تكون ، وطرأت على سطحه تبدلات ذات شأن لا بد من أن يكون مردها الى براكين أو زلازل • وبناء على ذلك ليس من المستبعد أن توجد في لب الزهرة مقادير من الصخور المصهورة ، ثم ان اثار البراكين هي من ضمن المعالم الظاهرة في الكواكب الاخرى القريبة من الشمس ، من أمثال عطارد والمريخ ولا شك في أن هذه الكواكب • وليس هناك من سبب يدعو الى استبعاد هذه الحالة بالذات من الزهرة • فوجود البراكين يعني أن هذه الكواكب قد سخنت في دور من الادوار ، بفعل سبب ما ، الى حد انصهرت فيه الصخور الموجودة فيها ، ثم ترسبت تلك الصخور في طبقات متباينة في الكثافة ، بحيث ترسخت الثقيلة منها تحت الخفيفة ، كما هي الحال في الصخور التي تؤلف جزءا من القشرة الارضية • ك

واذا أخذنا الكوكب « عطارد » وجدناه ذا ثقل نوعي عال وله حقله المغناطيسي مما يدل على أنه ذو لب معدني • والصور التي التقطتها السفن الفضائية التي مرت على مقربة منه تبين بوضوح اثار السيول المعدنية التي تدفقت فيما مضى من عدد كبير من البراكين الموجودة عليه • ورغم أن هذه البراكين خامدة الان ، فان فوهاتها تتراءى جلية واضحة •

كيف تكون النظام الشمسي ؟

ان الامثلة التي قد تتبادر الى الذهن هنا من شأنها أن تدور حول مصدر تلك الحرارة العالية التي تسببت في صهر الصخور على هذه الشاكلة ، وكيف تكونت مثل هذه

الحرارة في بواطن تلك الكواكب ۰ ولو فرضنا أنها تكونت بصورة تلقائية ، فهل تفسر هذه الظاهرة بعض النواحي الغامضة في كيفية تكون النظام الشمسي ؟

ان أشد الكواكب اثارة في النفس من كلتا الناحيتين الفلكية والفيزيائية هو المريخ ، اذ أنه مغلف بغلاف جوي مثل الارض ، ولان فيه منطقتين قطبيتين تتسعان أوتلتصقان تبعا للمواسم ۰ وقد حسب الفلكيون في مستهل هذا القرن أنهم اكتشفوا قنوات منتظمة يقاطع بعضها بعضا على مراحل على سطح المريخ ، وقالوا ان تلك القنوات تتخللها مناطق خضراء في نقاط تقاطعها ۰ غير أن الدراسات الفضائية الاخيرة فندت نظرية القنوات هذه ، وأظهرت أن تلك القنوات انما هي وديان لانهار جفت منذ عهد بعيد وعلاوة على ذلك اكتشفت السفن الفضائية حقائق أخرى ، لا تقل غرابة عن اكتشافها لحقيقة تلك القنوات التي بطلت أهميتها ۰

ولعل أهم ما اكتشفته وجود براكين عديدة على سطح المريخ ، من ضمنها البركان العظيم الواقع قرب الجبل المسمى « أوليمبوس » ، وهو أعظم بركان في النظام الشمسي طرا ، مما يدل على أن المريخ كان ساخنا في زمن ما وأن لبه معدني التركيب ۰ وفي أواسط سطح هذا الكوكب شاهدت السفن الفضائية ترسبات أحدثتها الرياح العاتية وصخورا تاكلت بفعل تلك الرياح ۰

على أن الامر الذي أثار دهشة الفلكيين واستحوذ عليهم هو أن أسطحة المريخ، وعطارد ، والقمر ، مكسوة بفوهات تحاكي فوهات البراكين ،غير أنها في الواقع ناجمة عن تعرض تلك الاسطح الى قصف جوي شديد بالصخور الضخمة التي انهالت عليها من الفضاء الخارجي، ومن مناطق تقع الى ما وراء الافلاك التي تسير فيها المذنبات ۰ وفي الحقيقة التي اكتشفت مؤخرا أدت الى تعقيدات في النظريات السائدة حول كيفية نشوء النظام الشمسي كان في بداية عهده سحابة عظيمة تتألف من الغازات والاغبرة بشكل يحاكي كوكبه الجبار (الجوزاء) على النحو الذي نشاهدها اليوم ۰ ثم حدث أن مرت تلك السحابة بطرف المجرة المعروفة باسم « مسحاة الكبش » قبل نحو ٤٥٠٠ مليون عام ، فتناثرت وراحت تنهار سراعا وتتبدد ۰ وتشكل من ذلك التبدد والانهيار قرص دوار ۰ وتكاثف ذلك القرص بعامل الدوران ، وحجز جزءا من الحرارة التي أنتجتها تلقائيا ، وكان القرص في تلك المرحلة ساخنا الذي تحولت فيه جميع المواد التي يطويها الى أبخرة ۰ غير أنه كلما ازدادت سرعته في الدوران بفعل الاستمرارية ، تكاثف وصار يبرد ويتصلب ، ولم تلبث أن تشكلت فيه المعادن التي صارت تنجذب نحو مركزه ، بينما صارت الغازات تبتعد عن المركز وتحيط بالقرص ۰ ثم تشكل من تلك المواد المتصلبة عدد لا يحصى من الكتل التي هي أصغر حجما من القمر ، واجتذبت هذه الكتل بدورها عددا أكبر فأكبر من المواد الصلبة اليها ۰ وهكذا تكونت الشمس والكواكب القريبة منها ۰ أما الغازات المحيطة بالقرص فتصلبت هي بدورها مع مر الزمان ، فكونت الكواكب البعيدة ويقول الفلكيون ان هذه العمليات برمتها قد جرت بعد انهيار السحابة الرئيسية بمد قصيرة حسب المقياس الفلكي للزمن ، أي أنها استغرقت أكثر من بضع مئات من ملايين السنين !

كذب المنجمون ولو صدقوا !

ولكن حتى ولو صحت هذه النظرية ، فان هناك أسئلة عديدة تعجز هي عن تفسيرها والاجابة عليها ۰ فمثلا ۰۰ من أين جاءت تلك الصخور التي عرضت الكواكب لقصف جوي فضائي شديد ؟ وفي الفلك الواقع بين المريخ والمشتري يوجد عدد كبير من الكواكب الصغيرة الدائرة حول الشمس۰ فلماذا لم تتكتل هذه الكواكب معا لتؤلف كوكبا اخر مستقلا بذاته كبقية الكواكب السيارة ؟ ۰ ولو فرضنا أن كوكبا من هذا القبيل قد تشكل فعلا ، فلماذا انهار بعد وتبدد ؟۰ وأخيرا لماذا انجذبت المواد المتصلبة في القرص الرئيسي الى نحو أربعين مركزا في النظام الشمسي حصرا؟۰

هذه أسئلة مهمة ، والاجابة عليها لا بد من أن تفسر بعض المظاهر الغامضة المبهمة في تشكل النظام الشمسي۰ وهي مسألة مهمة كذلك اذ أنها ذات صلة وثيقة بتفسير غوامض الكون ، ومن طبيعة الكون أن يتبع قوانين وسننا معينة ثابتة لا يحيد عنها البتة وعليه فان القوانين والسنن الجارية على بعض الانظمة الشمسية في الكون ، هي عين القوانين والسنن السارية في نظامنا الشمسي ۰ فاذا استطعنا التوصل الى حقيقة تلك القوانين ، أمكننا أن نعلم عن يقين ما يجري في كل جهة من جهات الكون ، سواء القريبة منها أو البعيدة ۰ والحقيقة التي تتراءى اليوم أمامنا هي أن عملية كونية قد بدأت تتفاعل قبل نحو ٤٥٠٠ مليون سنة ، فأدت الى تكون نظامنا الشمسي بكواكبه ، وأرضه وكائناته الحية الناطقة وغير الناطقة ، ولعل عملية مماثلة لهذه قدجرت على النمط نفسهوالطريقة ذاتها ۰ وتمخضت عن نتائج مماثلة في وقت اخر وفي مكان اخر من الكون ، أو لعل عملية من هذا القبيل تجري الان في مكان يبعد كل البعد عن نظامنا الذي يشكل برمته « حصوة » ، في الحجم ، اذا ما قيس بالكون الفسيح اللامتناهي !



● سكن قلب الشاعر وهدأت نفسه ، بعد صراع مرير مع الداء ، ألزمه سريره طويلا ، وهدته مأساته الخاصة ومأساة وطنه الجريح ، فاستنزفتا كل طاقاته الروحية والجسدية ، وأبعدتاه الى الابد ، عن الشعر والحب والجمال .

قضى الشاعر الكبير أمين نخلة ، وقد كان يتأهب ليتربع على هامة الشعر العربي ، فانفرد الطائر ، وترك رفاقه : الشعراء يتزاحمون ، ويتنظرون .

لقد أعطى الشاعر الكبير ما كان ينبغي له أن يعطي ، وترك الحكم عليه للزمن ، فإما خلود وإما موت ، وما نظنه إلا من الخالدين .

● دفعت وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق ، بموسمها الثقافي الجديد ، الى المطابع عديداً من الكتب المترجمة والمؤلفة ، وسترى النور قريباً .

من الكتب المترجمة : « الحضارة على مفترق الطرق » ترجمة الاستاذ يحيى علي أديب .

والجزء الثاني من الكتاب الثالث من رأس المال ، ترجمة الاستاذ أنطون حمصي .

ومن الكتب المؤلفة : « أدب الحرب » لحنا مينة والدكتورة نجاح العطار و « السماء تمطر خرافاً » لدلال حاتم ، و « مشاركة المرأة العربية في الحياة العامة » لنبيلة الرزاز .

● « حركة الاحياء اللغوي في بلاد الشام » صدر في دمشق للدكتورة نشأت ظبيان ، رصدت فيه ماهية حركة الاحياء والسبل التي سلكتها هذه الحركة في نشر التراث ، كما رصدت جزئياتها ، متتبعة الحركة التاريخية لدراسة التطور الفكري واللغوي العربيين في العصر الحديث ، وتناولت حركة البعث اللسانية ، كتطوير معجمات الالفاظ والمعاني والاعلام ، وتحقيق الذات العربية .

كما تناولت بالبحث الهادف المركز حركة جمع علوم اللغة من صرف ونحو وبلاغة وفقه لغة ، والطرق التي سلكت في تبويبها وتطويرها ، ودرست أفضل السبل لتذليل الصعوبات المختلفة التي تعترض علوم اللغة .

كتاب سد فراغاً في المكتبة العربية ، وهو جدير بالدراسة المستفيضة .

● ستقيم الجمعية السورية لتاريخ العلوم ، معرضاً للرسم في تاريخ الطب العربي ، في دمشق وحلب ، وسيضم المعرض ١٣ لوحة كبيرة ، بريشة سلمان قطاية ، مستوحاة من تاريخ الطب العربي ، وسيوزع دليل مطبوع يتضمن نماذج من الصور ، وشرحا لكل واحدة وصاحبها بشكل علمي .

● صدرت لمالك عزام مجموعة قصصية جديدة ، بعنوان « العالم يبدأ من هنا » تضم تسع قصص ، تتناول قضايا انسانية وقومية ، كتبت باسلوب رمزي مبسط ، مبني على أرضية واقعية قريبة الى النفس والذهن .

● يبدو أن « لعبة الشطرنج » بدأت تنال اهتماماً كبيراً من لاعبيها وغيرهم ، فصدرت عدة كتب ، تناولت هذه اللعبة بالدراسة ، آخر ما صدر في دمشق كتاب « نهايات الشطرنج » للسيد محمد راشد الامعري ، تضمن الكتاب الاسس والقواعد العلمية لفن النهايات ، ويضم ٢٢٢ رسما توضيحيا ، سبق للمؤلف نشر عدد كبير من البحوث والدراسات التي تبين أهمية الشطرنج ودوره البارز في تطوير الفكر الاقتصادي .

● انتهى ممدوح عمران من كتابة مسرحية جديدة ، بعنوان « هملت يستيقظ متأخرا » هي اعادة لكتابة مسرحية شكسبير الخالدة ، واضعا أحداثها في اطار جديد مستوحى من حياة الانسان العربي .

الملاحظ : أن رائعة شكسبير ، تناوب على اعادة كتابتها كثير من المسرحيين الانكليز ، وتقديمها للمسرح في اهاب جديد .

● تحت الطبع كتاب جديد بعنوان « واحترقت بيروت » للاستاذ حمزة أبو الفتوح ، وكيل وزارة الاعلام السعودية ، تناول فيه مأساة لبنان الدامية ، التي تحولت الى مادة خصبة للعديد من الكتب التي بوشر باصدارها .

● زار القطر العربي السوري الشاعر الدبلوماسي اليمني محمد الشرقي ، وقد أعد للطبع مسرحيتين شعريتين « الانتظار لن يطول » و « الغائب يعود » . بالاضافة الى مجموعة شعرية ، عنوانها « منها . واليها » ـ سبق للشاعر أن كتب مسرحيتين ، ونشر خمس مجموعات شعرية له ، كان آخرها « معها أبداً ... » . تتنوع موضوعات الشاعر في دواوينه كلها ، الا أن الموضوع الرئيسي في شعره كله ، هو المرأة ، موضوعا وقضية .

● صدرت عن دار نشر مكتبة الغزالي في حماه ، مجموعة قصصية للناشئين ، كتبها الاستاذ نزار نجار ، تحكي قصص البطولات العربية الاسلامية ، وتعيد الى الاذهان حكايات أبطال أسهموا في رفع لواء الامة العربية

نحو المجد والعزة ، أسلوب هذه القصص شيق جديد ، يناسب الناشئين ويحفزهم على الاهتمام بالتراث العربي الخالد .

● كان العدد الاخير من مجلة « عالم الفكر » التي تصدرها وزارة الاعلام الكويتية عن المرأة ، ضم عددا من الدراسات لبعض المفكرين العرب ، مثل المرأة والحضارة ، ومكانة المرأة في التشريع الاسلامي ، وحياة المرأة في القرى العربية الاسلامية ، الى جانب بحوث أخرى عن الشعر الروسي الحديث ، وعن فنانين ..

● دفع الدكتور ابراهيم السامرائي الى المطبعة في بغداد ، كتابه الجديد « أصالة لغة المتنبي » ، درس فيه مقومات اللغة الشعرية عند المتنبي في ضوء المفاهيم الحديثة وابعاد هذه المقومات ، والكيفية التي تقوم عليه جمله الشعرية وعلاقتها بتركيب الصورة عنده .

● « ويسمونه الحب » آخر مجموعة شعرية صدرت في بغداد للشاعرة لميعة عمار . الشاعرة تكتب الشعر العربي الاصيل ، وتكتب الشعر الحديث أيضا ، وموضوع القصيدة هو الذي يفرض عليها شكلها ، فاذا ما شاركت بمهرجان لشاعر أصيل ، فانها تلتزم الوزن والقافية ، أما حين تعبر عن خلجاتها الوجدانية ، فانها تكتب الشعر بلغة وأسلوب حديثين ، الشاعرة كانت صديقة للسياب أوحت اليه بعضا من قصائده .

● « مصطفى محمود ، شاهد على عصرة » كتاب جديد للاستاذ جلال العشري ، صدر عن دار المعارف في القاهرة ، درس فيه مؤلفه ، عطاء الاستاذ مصطفى محمود في شتى المعارف العلمية والفنية والثقافية ، في محاولة لابراز ما حققه الاستاذ مصطفى من ضروب الفكر والعقيدة والقصة والمسرح ، وما أخفق فيه أيضا ، حماس المؤلف لهذا المفكر ، أخفى الكثير مما يجب أن يبرزه ، وبرغم هذا ، فان هذه الدراسة شيقة وواعية ، ومكتبتا بحاجة الى مزيد من الدراسات عن أدبائنا ومفكرينا بأقلام تتحلى بمعرفة الموضوع الذي تدرسه .

● احتفلت الجزائر بتكريم شاعرها الكبير « محمد العيد آل خليفة » في قاعة « الموقار » في العاصمة الجزائرية . اشترك في هذا الحفل رجال الدولة والفكر والادب والاعلام .

محمد العيد ، كبير شعراء الجزائر ، تخطى عتبة **السبعين من عمره ، وشعره سجل حافل لنضال الجزائر** اجتماعيا وسياسيا ، على مساحة زمنية تنوف على خمسين عاما ، طبعت وزارة التربية الجزائرية ديوانه في عام **١٩٦٧ على نفقتها ، ونال جائزة اتحاد الكتاب الجزائريين، وهو عضو بمجمع اللغة العربية في دمشق .**

● **وعن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في الجزائر،** صدر كتاب للاديبة الجزائرية زهور وينسي ، عنوانه « على الشاطىء الاخر » التقطت صوره من حقائق الثورة الجزائرية ، ومن مواقف صمودها وانتصاراتها ، ومن نضال الفقراء من كل فئات الشعب ، حيث عاشت المؤلفة في الاحياء الفقيرةمدة الثورة ، أزاحت المؤلفةالقناع بقلمها العربي الاصيل عن الامور التي كان يتسبب في وجودها الاستعمار الفرنسي الذي عزل الشعب عن العالم وفر ن عليه اجهل والفقر تمتاز المؤلفة بالسرد الطويل غير الممل، باسلوب رشيق شيق .

● يلقى المهرجان الكبير الذي أقيم في لندن للاثار الاسلامية ، المزيد من التقدير والاعجاب ، فافردت الصحف البريطانية عديدا من أعمدتها للتحدث عنه ، وتقييم الاثار الاسلامية المعروضة فيه .

الجناح اليمني ، أثار الاعجاب بشكل خاص ، وكذلك الجناح الهندي . قدم الموسيقار العربي « سليمان شكر » معزوفات موسيقية رائعة ، فقد قام بمحاولة فريدةورائدة، يشد أوتار » اللود « على « العود » لتوسيع الاداء النغمي للعود ، وقد أفلح .

● أقيم في موسكو معرض للفسيفساء التونسية القديمة ، للفترة الواقعة بين القرنين الثاني والخامس الميلادي ، وزعت دراسات قيمة ، تناولت الفن التونسي في تلك الفترة ، ونقله الى تونس عن مصر وروما ، مما كان له الاثر الكبير في تفاعل هذين الفنيين بالبيئة التونسية وفي خلق فن جديد له خصائص مميزة .

● «دفاع عن صيرانة » كتاب ترجمه الى العربية الدكتور على فهمي خشيم ، ونشر في الجمهورية العربية الليبية ، وصيرانة ، هي واحدة من المدن الثلاث التي تقوم عليها مدينة طرابلس ، والمدينتان الاخريان ، هما « اديان » و « لبدة » .

تناول المترجم في مقدمته ، وفي صفحات أخرى ، حياة الفيلسوف « لوكيوس ايوليوس » وأهم أعماله الادبية والفلسفية ، وأثبت أن هذا الفيلسوف ما كان رومانيا ، وانما كان ليبيا ، بالمعنى القديم لهذه الكلمة ، الكتاب يدافع عن هذا الفيلسوف الذي قدم للمحاكمة بتهمة بلاغته وجماله وزواجه من امرأة ثرية ، وبالسحر الاسود . ويتضمن أيضا سردا لسيل من معارف الاقدمين ، مستشهدا باراء فلاسفة ذلك العصر وممن سبقوه ، التي نبتت على أرض عربية .

● في باريس ، أعيدت طباعة كتاب « مأساة الحلاج » للمستشرق الفرنسي « لوي ماسيتيون » في أربعة مجلدات تعرض فيها المؤلف لمأساة الحلاج الصوفي العربي المعروف، وتحدث عن الاوضاع السياسية والاجتماعية والحضارية في عصره ، باستفاضة شيقة .

رسائل الأصدقاء

شنغهاي في ٢٩-٢-١٩٧٦ «٢٨ صفر ١٣٩٦» هـ

الاخ الاستاذ ناجي جواد الرحالة البغدادي المبدع:

تسلمت كتابك الممتع «ليبيا» قبل أسبوع وكان تاريخ اهدائه في ١٠-٨-١٩٧٥ ٠٠وليس هذا بغريب فلقد تمكث بعض المواد البريدية عاما كاملا في الطريق٠

لقد كنت دقيق الوصف للمرائي التي رأيتها فكان ما كتبته أشبه بالصورة الفوتوغرافية الملونة ومن هنا كان كتابك ذا قيمة عالية جدا ٠٠

ان الذي كان قد استقر في ذهني من أمر سكان ليبيا قد زاد استقرارا وثبوتا فاني لم أزر هذه الارض٠

وقد وددت أن أزيد على ما كتبت في سيرة عمر المختار المجاهد الليبي فان الرجل لم يستسلم للايطاليين، وانما سلمه اليهم رجل اخر على ما حدثني الدكتور ممدوح حقي وقد عاش هناك أمدا من الزمن سفيرا لبلاده ٠

جاء في - ص ٢٩ - ما يفهم منه أن الشرع لم يمتع المرأة بحق اختيار الزوج ٠ كما جاء في ذات الصفحة أن المذهب الاباضي يوجب أخذ موافقة الزوجة على زوجها ممن يراد لها أن تتزوج منه ٠٠ والذي أعرفه تمام المعرفة أن الشرع الاسلامي بجميع مذاهبه يوجب أخذ موافقة المرأة عند تزويجها ٠٠ أما أن يكون في الناس من لايلتزم بهذا الحكم الشرعي فان ذلك لا علاقة له بأصل الحكم الشرعي ٠٠ وليس الاباضية وحدهم بالمنفردين في هذا الامر ٠٠

كنت مبدعا كل الابداع قيما كتبته في الصفحة الحادية والسبعين مما ينضوي الى لواء الادب الذي يسمونه بالادب المكشوف ، فلقد كنت ذا بيان يتموج في مجاري تلك السطور الرائقة الممتعة ٠٠ والمهم في هذا أنك كشفت بعبارات يسيرة عن نفسيتك اللطيفة وحسك الرقيق ومزاجك المرح المهذب ٠٠

أتمنى لو زرت الصين وجبت أنحاءها فانك ستعود منها بكتاب يستهوي قراءك الكثيرين ٠٠ وعلىذكر الصين وما أنت متخصص به من تجارة الساعات أود أن أرى رأيك في الساعات الصينية التي تصنع في مصانعشنغهاي فهل وجدتها معروضة في الاسواق العالمية وهل اقتنيت شيئا منها من قبل ٠٠ وما المانع من مراجعة سفارة الصين ببغداد ليهيئوا لك زيارة الى الصين للالمامبصناعة الساعات لديهم ٠٠ هذه مجرد خاطرة عنت على بالي وآنا أكتب اليك رسالتي الاولى من شنغهاي ٠٠

رسالة من شنغهاي الى بغداد

الصور التي في الكتاب غير واضحة لاسيما صورة الباروني ٠٠ وقد كان رحمه الله مقيما في بغداد - وقد ذكرت هذا في كتابك - وكنت أراه كل يوم في كلية الامام الاعظم ٠٠ وان له أكثر من صورة التقطت في بغداد وربما كان الاستاذ كمال الدين الطائي يحتفظ بشيء منها ٠٠

ومن ذلك كذلك صورتك وصورة العقلية فانهما غامضتان وربما كانت صورة ذات العين الواحدة أوضح بمقياس بعيد من صورة العقلية الكريمة بحيث يضن من يرى ذلك أنك فعلت في هذا فعل من يكسو زوجته الجربى الابيض ٠٠

وعلى ذكر هذه النقطة أود التعليق على مسألة الحجاب الذي يستعمل في بلادنا وما انتهى اليه فريق كبير من النساء بفعل رد الفعل من التزيؤ بأزياء العصر الحديث ٠٠

ألا يرى سيدي الاخ أن الفتاة المعاصرة قد بدأت تكثر من العبث في هذا الموضوع والا فما هذه السراويل التي تطول وتعرض وتلتوي وتضيق وتتسع وما هذا التخلع الغريب والغنج والانغمار في المساحيق بحيث لم تنج العيون النجل من ازرقاق أعاليها واسافلها الى غير ذلك من العجائب السبع ٠٠ فهل وجدت لهذا التبدل من حصيلة وتطور حضاري وسياسي وعلمي ملحوظ ٠٠

اننا نفرط في اتهام الرجل في احتجاز زوجته دون أن نجعل له عذرا من الظروف المحلية المتقلبة ٠٠ ترى ماذا يصنع الرجل حين يتغلب الطليان على بلده حكاما مسيطرين وغزاة مدمرين أفلا يسد جميع المنافذ التي تطل على بيته ويحول دون خروج نسائه عرض الشوارع لئلا يقعن في قبضة الجند المحتل ٠٠

وفي العراق ألم يكن الامر كذلك حقبة منالزمن ؟

ثم ما قيمة الملابس ذات الاشكال المتغيرة ان كانت جامدة مُضحلة ؟

ان تعليقاتك العميقة الصائبة دائما يجب أن تنتهي الى نتائج ذات جدوى ملحوظة دون أن تتوقف عند حد ارضاء فئات معينة ٠٠ والسلام عليكم ٠

المخلص : الشيخ جلال الحنفي

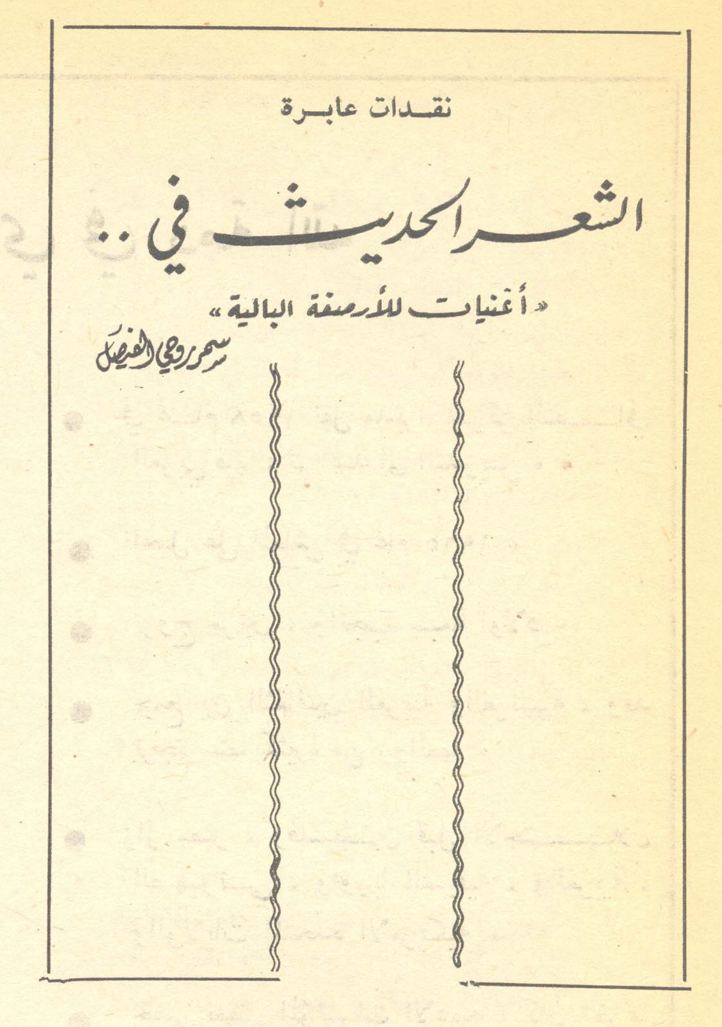
خليل الهنداوي في ذمة الله

نعت انباء حلب ، الاديب الكبير الاستاذ خليل هنداوي ، الذي انتقل الى رحمة الله ، يوم الاربعاء ، التاسع من حزيران ١٩٧٦ • وقد كان لهذا النبأ ، الاثر البالغ في نفوس عارفي الاستاذ الهنداوي ومقدري أدبه • وقد افنى حياته في خدمة أمته ، مدرسا واديبا وشاعرا •

ومجلة « الثقافة التي كان للفقيد الكبير ، مكانته الكبرى لديها ، ترفع الى ابنائه وعائلته ومحبي أدبه وطلابه ومقدري فضله ، اصدق التعازي ، سائلة المولى أن يتغمده برحمته ورضوانه •

- ولد الاستاذ خليل هنداوي في صيدا عام ١٩٠٦ •
- غادر لبنان الى سورية عام ١٩٢٨ •
- مارس التعليم في صيدا وعمره سبعة عشر عاما ، وفي قرية من قرى لبنان من عام ١٩٢٥ الى عام ١٩٢٧ •
- عين مدرسا للادب العربي عام ١٩٢٩ في مدرسة تجهيز دير الزور ، وفيها استكمل مطالعاته وثقافته ، وبدأ كتاباته الاولى •
- في عام ١٩٣٩ انتقل الى حلب ، فدرس في مدارسها الثانوية •
- في عام ١٩٥٨ نقل مديرا للمركز الثقافي العربي فيها ، ثم اعيد الى التدريس •
- احيل على المعاش في عام ١٩٦٥ •
- تزوج مرتين ، وانجب سبعة اولاد •
- جمع بين الثقافتين العربية والفرنسية ، وقد ترجم عنها كثيرا من روائعها •
- زار مصر ، وفلسطين قبل الاحتلال الصهيوني ، واوربا الشرقية ، والغربية ، والولايات المتحدة الامريكية •
- حضر بعض المؤتمرات الادبية ، كان اخرها المؤتمر الخاص بادباء افريقيا واسيا الذي انعقد في بيروت عام ١٩٦٧ •
- كان ، يوم وفاته ، رئيسا لفرع اتحاد الكتاب العرب في حلب •
- من مؤلفاته : تعتبر مجلة « الثقافة » انها نشرت له مسرحياته في كتاب عنوانه « زهرة البركان » • ونشر كثيرا من المقالات

والدراسات ، والقصائد في المجلات التي تصدر في كثير من الاقطار العربية •



نقدات عابرة

الشعر الحديث في..

«أغنيات للأرصفة البالية»

سمير روحي الفيصل

الديوان الذي أحاول الحديث عنه في هذه الاسطر هو اخر ما صدر للشاعر اسماعيل عامود ، وقد سبق له اصدار ثلاثة دواوين أخرى /من أغاني الرحيل – كآبة – التسكع والمطر/،وبرغم أنني لم أقرأ هذه الدواوين الثلاثة كلها فانني أستطيع القول – دون تجن – ان هذا الشاعر ينحت من صخر ، ليس على الطريقة الاموية في النحت ، وانما على الطريقة المعاصرة ، فهو يريد – كما أرى – أن يكون شاعرا ، وأن يطلق الناس عليه هذا اللقب . وقد يكون كذلك في رأي آخرين – اذ هو عضو في لجنة شعر في هذا القطر – ، غير أنه عندي كاتب وبحاثة ان توفر على هذا العمل بجهده وثقافته اللتين أعرفه بهما . ولا أنكر هنا أن له لفتات شعرية جميلة ، فيها روح شاعرية حلوة الوقع في نفس قارئها ، ولكن ذلك لا يمنعني من قول ما ذكرت ، اذ ليس هناك – كما يقول النقاد – شعر بل هناك شاعر .

شعر الديوان الذي نقرؤه اليوم شعر حديث ، وللشاعر منظومات على الاوزان الخليلية أكثر اجادة من شعر هذا الديوان/انظر قصيدته : دمشق – مجلة الثقافة السورية – العدد ١٢ – ١٩٧٥ /، غير أن عدوى(الحداثة) الشكلية قد أصابته فكتب هذه العشرين قصيدة شعرا حديثا موزعا في أقسام أربعة ، ثلاثة منها من شعر التفعيلة ، ورابعها /للارصفة البالية / من قصائد النثر – كما يسمها هو – ومن النثر الشعري كما أحب أن أسميها ، غير أنه لم يصل فيها – عدا واحدة – الى شيء من الشعر الحديث .

١

الملمح البارز في أشعار الديوان كلها هو حديث الشاعر عن دمشق ، أو بتعبير أدق / دمشق عنده / ،دمشق التي يتسكع فيها تحت المطر ، وينتقل من رصيف بال الى آخر مشابه ، من أزقة جائرة الى أخرى أكثر جورا ، فالشاعر / لانه يحب دمشق على طريقته الخاصة – اذا كان هذا حبا – / يرى هذه المدينة (غادة) ، ولكنها (غادة كسول) :

كغادة كسول ،
تكحل الجفون بالبهار
تدهن الخدود للزوار
وتنبري ،
تطل من خلال مخدع ملول
سريرها مبعثر الستار
وجائع هو المدار في عيونها
وحائر هو المدار

هذه الغادة يركب اليها الشاعر (حصان الريح) ويدخلها مليء (الجيوب بالنقود) ، تاركا رمحه في قريته الوادعة ف /

قبل أن أراك يا دمشق
كنت صاحب تاج عريق من الفرح والاغاني
كنت ملكا على الريح والمطر ، ومناطق أكثر
عروس الارض ، وعشيقتي نجمة فضية في
الاعالي

على هذا المنوال يرى الشاعر دمشق ، ولكنني – أنا القارىء – لم أر دمشق في شعره ، ولم أعرف لها هوية ، فكثر أولئك الذين عاشوا في دمشق سنين طويلة دون أن يعرفوها ، واذن أين ذهب جهد الشاعر في هذه الصور الشعرية التي حشدها لتصوير ما أراده ؟! لقد انصرف هذا الجهد الى استخلاص دمشق أخرى دمشق ذاتية ، دمشق من منظور خاص ، وحتى دمشق هذه – ونستثني تلك الصور الاصيلة التي نوه عنها الشاعر لدمشق الوطن والعروبو – لم تستطع أن تنقل لنا ذات الشاعر الذي تلهى بالشكل الشعري عن التوفر على اجادة المضمون . ولا أستثني من هذا الحكم الاخير غير قصيدته / تحت المطر / التي تعد برغم هنات سنذكرها بعد – قصيدة حديثة شكلا

ومضمونا ، اذ استطاع الشاعر فيها تجميد لحظة زمنية وتصويرها لنا تصويرا جميلا ، تبدأ القصيدة بهذا المطلع المهموس :

صديقتي ، تساقط المطر
وليس في مواقدي حطب
وليس في لهاتنا غناء
يفيء في دمائنا الضجر
– تساقط المطر –
وقطنا ينام في العراء
يقرقر الحكاية الرتيبة
– وبلدتي فقيرة كئيبة –

ثم يتعالى هذا الهمس الى أن يصير صوتا مؤثرا فاعلا حين يعمم الصورة على الوطن وما فيه دون أن يفقد قدرته على تغذية هذه المفارقة التصويرية بين (قطه) الذي ينام في العراء من جهة ، وبين وطنه اذي غدا ذليل السمات يلفه الضياع :

وقريتي ، صديقتي –
ذليلة السمات
تجزها أسنة الغزاة
فترتمي ، جريحة الكرامة
رخيصة ، يبيعها الطغاة
وينزل المطر
وينزل المطر

وبعد / تحت المطر / هذه يبقى (قط) الديوان ينام في العراء وهو يقرقر الحكاية الرتيبة وحده ضمن تلك البلدة الفقيرة الكئيبة ٠ ولعلي لا أجاوز الحقيقة اذا قلت ان كثيرا من الشعراء المحدثين في سورية قد أساؤوا الى الشعر الحديث ، بل لانهم يودون – في هذا القطر – أن يتسربلوا بسربال الحداثة المدعاة ، ولانهم – اذا لم يفعلوا هذا – كانوا في أنظار حماة هذا اللون تقليديين فاتزمانهم وهم يخافون هذا الفوت لاسباب كثيرة ٠ وليس معنى هذا أن شاعرنا أحدهم ولكن رذاذ أمطارهم أصابه في«لاواعيته» فانجز الى صنيعهم في جزء من انتاجه ، يدلنا على ذلك كثرة الملاحظ الفنية والشكلية المأخوذة على « قصائد النثر » /للارصفة البالية/التي احتلت القسم الرابع من الديوان٠

٢

الشعر الحديث في هذا الديوان بقسميه الشعري والنثري ، يفتقر الى روية وتأن قبل خروجه الى الناس ، فقد يلحظ ناقد مولع بالتحليل النفسي كثرة ألفاظ « الجنس » في قصائد الديوان ، فيعزو الامر الى « ليبيدية نرجسية » / قد يستعير لها « المرحلة الفمية » كما هي عند فرويد ، اذ يكثر كاتبنا من اللجوء الى لفظة « الثدي » خاصة ٠٠ لاحظ ذلك في الامثلة التي سترد بعد/ ، تلح هذه الالفاظ في « لاشعور » الكاتب ، وتجد مسربا لها من خلال كلماته ٠ ولا شك أن هذا الناقد لن يعدم شواهد شعرية كثيرة تؤيد رأيه من نحو « تمسك ثديها المنفوخ ترضعني بلا ثمن – ص ١١ » / « ولها نهد كالاجراس – تعطيه هدايا للحراس – ولها فخذ مفتول أشقر – تهديه جزافا للعسكر – من أجل رفاه،أو أكثر – ص ٥٦ – ٧٥»٠ على أننا كيلا نظلم الكاتب نعزو ذلك الى محاولته « تقليد » مدعي الشعر الحديث ممن كثرت عندهم نوازع الجنس ، يدلني على ذلك كثرة ألفاظ « الجنس » في قصائد النثر من هذا الديوان دون القصائد الاخرى ، لان بناء قصائد النثر أسهل [ان كان لها بناء متعارف عليه] ، ومجال التقليد فيها أيسر لعدم وجود ضوابط في رأي أصحابها لبنائها بناء شعريا فنيا ٠٠ نلحظ هذه الالفاظ فيقصائده (تسكع في الظهيرة) في مرقص العتمة – على رصف المدينة) وهي نصف قصائد النثر ، ونلحظ فيها أيضا امعانا في هذه الالفاظ ، فقد كان الكاتب يستعمل لفظة أو ألفاظا قليلة فاذا هو ينداح الى جمل طويلة متعددة على النحو التالي :

– في قصيدة / تسكع في الظهيرة / :

« كم رغبت لو داعبت نهديك البارعين في/الزواريب المنسية كهوتي » « فخذا راشيل بنصف دولار يضاجعان بلا عطور » – ص ٨٩ ٠

– في قصيدة / في مرقص العتمة / :

« كيف لي أن أقطفك أيتها الارداف المراوغة ؟ / كنت ألمح جوعك للاثداء المكورة بالحليب – في ذكريات الطفل اليتيم / بينما تجوس أفكاري الثائرة كل كشح بض ، – كل نهد بلا أقفاص » – ص ٩٢ ٠

– في قصيدة / على رصيف المدينة / :

« أندثر في ابطك ، وأنتفخ قبابا فوق أضلاعك في – الصدر المتعب – أكون بتململي حلميتك الواجفتين باستمرار – في تسكعي المرح أعمر التكايا للفاجرات – أسلبهن حتى الوله بالزينة – أتقفى المؤخرات الهزهازة ، وأصير رصيفا / لكنني شاعر يعشق انسياب الاقاحي في منحدرات النهد البطر / وربما رجعت لثديك المعبأين باللبن المستورد – من الشرق » ص ٩٨ ٠

● ● ●

وأيضا فالشعر الحديث في هذا الديوان لا يهتم كثيرا باللغة العربية لا من حيث الاستعمال النحوي / أحيانا قليلة لاحظ (شبابيكا – القلوبنا – تلكوء – مرمرتمو –

لاضيء ـ شتاء ـ الذي أنا ـ يا الذي كنت ـ تاكيد)، ولا من حيث استعمال العامية (لاحظ : الغميقة ـ ينجحرون ـ المبرغثة ـ الزواريب ـ قفاها ـ القباقيب ـ الهزهازة ـ مفلوشا ـ طرابيش ـ لهاثي) ٠

كما أن كاتبنا يجنح في أغلب جمله الى تقريرية في الاسلوب مبتذلة كقوله في قصيدته / تسكع في الظهيرة / ـ [بودي لو أقشرك كالبصلة ـ والطاعون يأكل بلاغة الارداف في طريق القصاع وأرصفة شارع الصالحية الكابية] ٠

يضاف الى هذه التقريرية زركشة العنوانات ، وخطابية كثير من الجمل ، واضطراب الوزن في بعض الاشطر (لاحظ : هويتك فوق التمني) ، والانتقال المفاجىء من ضمير الى اخر مما ينفر الاذن موسيقيا من نحو انتقاله من ضمير المتكلم الى ضمير المخاطبين ثم العودة الى ضمير المتكلم : [ونحن يا غريبتي يلفنا شتاء / وليس في مواقدي شواء / وليس في أكفنا ذهب] ٠

وشيء آخر يتعاون فيه شاعرنا مع آخرين هو تعويد الاذن على « الخلط » بين الاشطر الشعرية في ترتيب تفاعيل القصيدة ، ويكفي لذلك أن نشير الى هذين الشطرين اللذين يعدهما الشاعر بيتا من الخفيف لندرك مدى ضرورة ابتعاد الشعراء عن اللجوء الى مثل هذا الصنيع :

حملتني الدروب في مهمة التيه
فطاشت مع الدروب شؤوني

وعلى أية حال فان هذه الملاحظة الاخيرة بحاجة الى مزيد من التفصيل لا تتيحه لنا محدودية الصفحات ، غير أننا لا نعدم الاشارة الا أن هذه الملاحظة هي التي جعلت بناء جمل كاتبنا « هشة » ، وبالتالي كانت هوية القصيدة الحديثة مفقودة عنده كما هي مفقودة عند غالبية الشعراء المحدثين ٠ فبناء الجملة الشعرية خاصة يحتاج من الشاعر الى شيئين يتلاحمان معا ، هما صوغ الجملة وايقاعها ٠

أما صوغ الجملة فيتأثر بما ذكرنا من ملاحظ / تقريرية الالفاظ ـ الاخطاء اللغوية والنحوية ـ العامية / اضافة الى تلك الروابط النحوية التي تقوم بوظيفة الدلالة بين جملة وأخرى ، مما يوضح نقاط الالتقاء والتنابذ في الصياغة كلها ٠ ثم عن هذا الصوغ يتولد « الايقاع الصوتي » وهو ـ في الشعر الحديث ـ ايقاع داخلي يشمل القصيدة من بدايتها الى نهايتها ، وفائدته أنه يضع القارىء في وضع « حسي وتجريدي » ينشأ معه معادل فكري ـ أراده الشاعر ـ يعد بديلا عن الواقع الذي رآه الشاعر وطمح الى تصويره كما يحلو له ، سواء أراد تغييره وتعديله أو السير به نحو المفارقة التصويرية ٠

هذا البناء ، أو هذا الصوغ الشعري للجملة نفتقده تماما في شعر « اسماعيل عامود » ، والا كيف تستطيع جملة من نحو : « بودي لو أقشرك كالبصلة » أن تكون جملة شعرية وقد توافرت عليها العامية من جميع أطرافها ، وليتها كانت عامية منتقاة غير مستهلكة في شوارع الصالحية ، اذ اللغة رموز شفوية تستمد شحناتها القوية في الشعر الحديث من الدقة في الانتقاء ، ومن الذي التصاعد التدريجي في التراكيب ٠ ولعل معظم رواد الشعر الحديث كانوا يدركون هذا ادراكا واعيا ولهذا فقد كانوا يقولون ان لغة الشعر الحديث فتح جديد في عالم العربية ٠

ثم : بناء القصيدة عند « اسماعيل » بناء ضائع ، فلم أستطيع تمييز شكل واحد اختاره لنفسه ٠ ولا أحب أن أظلمه هنا ، فما زال الشعر الحديث كله يطمح الى بناء شعري متعارف عليه ، نستطيع تدريسه وتلقينه وتدوين ضوابط له يستهدي بها ناشئة القول ٠ لهذا كان بناء القصيدة الحديثة ـ حتى الان ـ بناء لينا متحركا ، يتخذ شكلا هرميا متصاعدا ، أو ناميا ، سواء اتخذ قاعدته من الايقاع الموسيقي الكلاسيكي القديم أو الجديد ، أو شكلا لولبيا تتسع دوائره كلما صعدت الى الاعلى على عكس الشكل الهرمي تماما ٠ وبرغم هذا لم أجد في قصائد الديوان قصيدتين تمتحان من شكل واحد عدا القصائد التي لبست لبوس الشعر الخليلي فتلك لا نتحدث عنها ضمن حديثنا عن الشعر الحديث ٠

واذا كان لا بد لنا من التذكير بأن بناء القصيدة له علاقة وثقى بمضمونها ، فاننا نحيل الى الملمح البارز في مضامين الديوان دون أن نذكره بفقدان تلك النظرة الشمولية أو ذلك الموقف من الوجود وموجوداته مما يشكل مضمونا انسانيا يتلاقى ـ بعد أن أفرغ فيه الشاعر جزئياته ـ مع تجارب كل شاعر صدق التعبير عن نفسه ٠ وان أردنا مرة ثانية ألا نظلم كاتبنا فذكرنا له ـ ضمن النظرة الشمولية ـ ذلك الاحساس الدقيق بالحياة والناس (النظرة الشمولية قد تكون موقفا فكريا أو احساسا دقيقا بالحياة والوجود والناس) ، واعتبرنا أن ذلك هو احساسه الداخلي الذي صدق التعبير عنه (التسكع ٠٠٠) فاننا نخالفه فيه كما ذكرنا في بداية حديثنا ، وان كنا لانرفضه له ولا نقره عليه ٠

وبعد فليس هناك شعر ، بل هناك شاعر ، واذا كنت لم أر في « اسماعيل عامود » شاعرا محدثا للنقدات التي ذكرتها ، فانني أرجو أن يكون في دواوينه التي لم أقرأها قد كذب رؤيتي وصدق قراءه في كونه شاعرا ٠

سمر روحي الفيصل ـ حمص